الباب السادس

١ – استقلال القضاء وحرية القاضى فى دولة الإسلام

٢ – شريعة الإسلام هل تتسم بالعنصرية

٣ – محنة المسلمين فى بلاد الهند

٤ – كشمير الإسلامية ومشكلتها بين الهند وباكستان

٥ – الشيخ رحمة الله الهندى والمبشرون

استقلال القضاء وحرية القاضي في دولة الإسلام

القضاء أمر لازم لقيام الأمم ولسعادتها وحياتها حياة طيبة ولنصرة المظلوم وقمع المظالم وقطع الخصومات ، وأداء الحقوق إلى مستحقيها والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والضرب على أيدى العابثين الظالمين .

وفى اصطلاح فقهاء الإسلام هو الفصل بين الناس فى الخصومات حسمًا للتداعى وقطعًا للنزاع ورفعًا للحرج عنهم ، وحمايتهم جميعًا وتحقيق العدل بينهم وفقًا للأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة[1] .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[2] .

أساس مشروعية القضاء فى الإسلام :

أولاً – القرآن الكريم : فهو الأساس الأول فى هذه المشروعية قال الله تعالى

١ - ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[3] .

٢ - ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4]

---

(١) كتاب القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه تأليف الأستاذ إبراهيم نجيب محمد عوض من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٥هـ – سنة ١٩٧٥م .

(٢) جزء من الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) سورة المائدة : ٤٨ .

(٤) سورة المائدة : ٤٢ .

ثانيا – السنة النبوية : وهى الأساس الثانى فى هذه المشروعية قال رسول الله ﷺ .

١ – « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[١] .

٢ – « القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق وقضى به واللذان فى النار رجل عرف الحق فجار فى الحكم ، ورجل قضى للناس على جهل »[٢] .

ثالثًا – الإجماع : فقد أجمع المسلمون على مشروعية تنصيب القضاة والحكم بين الناس[٣] .

الرسول ﷺ هو أول من تولى ولاية القضاء فى الإسلام

فقد تولى ﷺ القضاء بنفسه وولاه غيره .

أما قضاؤه ﷺ بنفسه فثابت فى عدة أحاديث منها :

١ – أن أم سلمة هند زوج النبى ﷺ قالت « جاء رجلان يختصمان فى مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بينة فقال رسول الله ﷺ : إنكم تختصمون إلى رسول الله ، وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها إسْطَامًا[٤] فى عنقه

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الأربعة والحاكم والبيهقى .

(٣) كتاب القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه المرجع السابق .

(٤) والإسْطَام : هى الحديدة التى تحرّك بها النار وتسعر .

يوم القيامة ، فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما حقى لأخى فقال رسول الله ﷺ : أما إذًا فقوما فاذهبا فلتقتسما ثم توخيا الحق ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل منكما صاحبه »[1] .

أما توليه ﷺ غيره القضاء :

فتارة يكون فى خصومة معروضة عليه هو إذا رأى حاجة الفصل فيها تستدعى الانتقال أو المعاينة ووثق بمن يوليه وبخبرته فى موضعها فقد ذكر أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب عن جارية بن ظفر رضى الله عنه أن دارًا كانت بين أخوين فحظرا فى ذلك حظارًا (أقاما جدارًا) ثم هلكا وترك كل واحد منهما عقبا فادعى كل واحد منهما أن الحظار له دون صاحبه ، فاختصم عقباهما إلى النبى ﷺ – فأرسل حذيفة اليمانى يقضى بينهما فقضى بالحظار لمن وجد معاقد القمط تليه ، ثم رجع فأخبر النبى ﷺ فقال له « أصبت أو أحسنت » :

والقمط : هو ما يشد به الخص من ليف ونحوه

وحين انتشر دين الله فى شبه الجزيرة أرسل الرسول ﷺ دعاته وولاته إلى الجهات التى اعتنقت الإسلام فينوبون عنه فى إدارة شئونهم ومنها القضاء فى خصوماتهم ، فقد أستعمل عتاب بن أسيد الأموى على مكة بعد فتحها ، كما بعث معاذ بن جبل إلى ناحية من اليمن ، وأبا موسى الأشعرى إلى ناحية أخرى منه ، وحتى فى خروجه من المدينة إلى الجهاد استعمل عليها تارة سعد بن عبادة لما خرج فى غزوة الأبواء والسائب بن مظعون لما خرج فى غزوة بواط ، وعلى بن أبى طالب على اليمن فى بعض فتراته .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

ويفهم مما أوردناه سابقًا أن الرسول لم يقلد أحدًا القضاء فى حياته ﷺ لأنه ما جعل لأحد ولاية القضاء وحدها ولاية مستقلة[1] .

ومع ذلك فقد كان للقاضى حريته فى قضائه :

فقد تميز القضاء فى عهده ﷺ بحرية القاضى فى إصدار الحكم ، ولم يقيده بأى قيد ، اكتفاء بأن مرجع القاضى منهم هو :

١ - كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم فى أحكامه

٢ - سنة الرسول ﷺ

الاجتهاد :

ولقد روى عن معاذ بن جبل أنه لما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن قال له : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء » ؟ قال أقضى بكتاب الله ، فيقول الرسول ﷺ « فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ فيقول معاذ : أقضى بسنة رسول الله فيعيد الرسول ﷺ السؤال بقوله « فإن لم تجد فى سنة رسول الله فيجيب معاذ بقوله : أجتهد رأيى ولا أقصر فتأخذ الرسول ﷺ نشوة الفرح ويقول « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله» رواه أحمد وأبو داود . .

وانقضى عهد النبى ﷺ بعد أن رسم لأمته طريق العدل الذى يسلكونه وأرسى الأساس فى استقلال القاضى فى قضائه وجاء من بعده عهد الخلفاء الراشدين .

القضاء فى عهد الخليفة الراشد أبى بكر الصديق :

بعد انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى وتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضى الله عنه لم يتغير حال القضاء عما كان عليه فى عهد الرسول ﷺ

(١) كتاب القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه - المرجع السابق .

فكانت له ولاية القضاء ، لأن من مقتضيات الخلافة أن تكون للخليفة سلطة القضاء فكان هو يقضى بنفسه فقد روى البغوى عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله فى ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين ، وقال : أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى فى ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله فيه قضاء ، فيقول أبو بكر (الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا) .

وروى مالك فى الموطأ قال جاءت الجدة إلى أبى بكر تسأله ميراثها فقال لها: (مالك فى كتاب الله من شىء وما علمنا لك فى سنة رسول الله شيئًا فارجعى حتى أسأل الناس ، قال : فسأل أبو بكر الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله أعطاها السدس ، فقال أبو بكر هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه)[1]

إسناده القضاء إلى حكام الولايات فى عهده أو إلى بعض معاونيه :

فمن الثابت أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد أسند القضاء إلى غيره فى خلافته ، فقد روى أنه أول ما وسدت إليه الخلافة قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال وقال له عمر بن الخطاب : أنا أكفيك القضاء . وتارة كان يعهد بالقضاء إلى ولاته ، فقد ورد أن ولاة أبى بكر كانوا يقضون بين المسلمين ، ويختارون من يثقون بهم ليعاونوهم فى القضاء على ما كانت عليه حال الولاة فى عهد الرسول ﷺ كما كانت حرية القاضى مكفولة فى قضائه مثل ما كانت فى العصر النبوى .

(١) نقلاً عن كتاب القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه – المرجع السابق .

الخليفة الراشد عمر بن الخطاب

هو أول من فصل القضاء عن الولاية العامة مبرزًا استقلال القضاء :

فقد رأى من المصلحة العامة فصل القضاء عن الولاية نظرًا لكثرة الفتوحات واتساع نطاق العمران وذلك تمكينا للولاة من نظر الأمور العامة وصرف المنازعات إلى القضاء فأنشأ وظائف القضاة وتخير لها العدول الأكفاء[1].

كما قرر عدم اشتغال القاضى بالسياسة العامة، ومن هنا تقرر مبدأ استقلال القضاء، فكان أبو الدرداء قاضى المدينة وشريح قاضى الكوفة وأبو موسى الأشعرى قاضى البصرة، وبذلك يكون تمام الفصل بين السلطات واستقلال القضاء قد تحقق فى الدولة الإسلامية منذ عهد مبكر ، وأصبح القضاء فى الإسلام ولاية لا يندرج فيها غير الفصل فى الخصومات .

وقد يحدث أن يفوض الخليفة واليه فى اختيار القاضى بولايته كما فعل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما كتب إلى واليه فى مصر مرشدًا له عن الصفات التى يتعين توافرها فى القاضى ثم فوضه فى اختيار من تتوافر فيه هذه الصفات[2] .

توجيه ولى الأمر لقضاة الدولة :

فمن توجيهات الرسول ﷺ لواحد ممن كلفه بأمر القضاء قوله : « إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقض حتى تسمع كلام الثانى كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك وجه الحق »[3] .

---

(١) كتاب عبقرية عمر للمرحوم عباس محمود العقاد – باب عمر والدولة الإسلامية .

(٢) كتاب الحكومة والقضاء فى الإسلام تأليف المستشار عبد الحميد أحمد سليمان طبعة مكتبة الشعب سنة ١٩٩٠

(٣) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام للدكتور أحمد شلبى الطبعة الثانية سنة١٩٨١ .

ومما جاء فى توجيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لأحدهم : (إذا جاءك شيء فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال ، فإن جاءك أمر ليس فى كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها، فإن جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت : إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وإن شئت أن تؤخر فتأخر ولا أرى التأخير إلا خيرًا لك)[1] .

ومن وصاياه للقاضى :

(آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً ، ومن ادعى حقًا ببينة غائبة فاضرب له أمدًا ينتهى إليه فإن بينه أعطيته بحقه ، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، ولا يمنعك قضاء قضيت منه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا فى حد أوظنينا فى ولاء أوقرابة، الفهم الفهم فيما أُدْلِيَ إليك مما ليس فيه قرآن ولاسنة، ثم قايس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال ، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق ، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتأفف بالخصوم فإن القضاء بالحق مما يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام)[2] .

---

(١) كتاب عبقرية عمر –المرجع السابق

(٢) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام نقلاً عن كتاب الأحكام السلطانية للماوردى .

أمثلة عن حرية القاضى فى الاجتهاد :

هناك أمثلة كثيرة فى دولة الإسلام على حرية القاضى التامة فى اجتهاده قبل إصداره الحكم ما دام ملتزمًا كما قدمنا فى عمله بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

١ – فعن عمر أنه لقى رجلاً فقال ما صنعت ؟ قال الرجل قضى عَلىٌّ وزيدٌ بكذا ، قال لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال فما منعك والأمر إليك ؟ قال عمر لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت ولكنى أردك إلى رأيى ، والرأى مشترك

وعلى هذا فلم ينقض عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما قال على بن أبى طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما[1] .

٢ – بل روى أنه رضى الله عنه قضى فى حادثة بقضاء ، ثم قضى فى مثلها بقضاء آخر فسئل فقال تلك على ما قضينا ، وهذه على ما نقضى .

ويفهم مما قاله أنه مادام القضاء عن اجتهاد فهو على أساس صحيح ولا وجه لنقضه باجتهاد آخر لأنهما فى احتمال الخطأ سواء ، ولأنه لو نقض الاجتهاد بالاجتهاد لاستمر النقض فلا تستقر الأحكام وفى ذلك ما فيه ، ولعل هذا هو السبب فى أنه لم يوجد فى ذلك العهد نظام لاستئناف الأحكام[2] .

٣ – وقال أبو عمير بن عبد البر :

---

(١) كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين – الجزء الأول – تاليف الإمام شمس الدين بن محمد بن القيم الجوزى صفحة ٦٥ .

(٢) كتاب القضاء فى الإسلام تاريخه ونظامه – المرجع السابق .

ورويتا عن ابن عباس أنه أرسل إلى زيد بن ثابت : أفى كتاب الله ثلث ما بقى ؟

فقال زيد أنا أقول برأيى وتقول برأيك .

٤ – وعن ابن عمر أنه سئل عن شيء فعله : أرأيت رسول الله ﷺ فعل هذا أو شيء رأيته ؟

قال بل شيء رأيته .

٥ – وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان إذا قال فى شيء برأيه . قال : (هذه من كيسى)

٦ – وكان أبو الدرداء يقول : (إياكم وفراسة العلماء ، احذروا أن يشهدوا عليكم شهادة تكبكم على وجوهكم فى النار ، فوالله إنه للحق يقذفه الله فى قلوبهم) .

وأصل هذا فى سنن الترمذى مرفوعًا (إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ، ثم قرأ ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[1] .

والفراسة اسم من قولك (تفرست فيه خيرًا ، وهو يتفرس أى يتثبت وينظر) .

٧ - وقال ابن وهب عن ابن لهيعة : (إن عمر بن عبد العزيز استعمل عروة بن محمد السعدى على اليمن ، وكان من صالحى عمال عمر ، وإنه كتب إلى عمر يسأله عن شيء من أمر القضاء فكتب إليه عمر : (لعمرى ما أنا بالنشيط على الفتيا ما وجدت منها بُدًّا ، وما جعلتك إلا لتكفينى وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك)[2]

---

(١) سورة الحجر : ٧٥ .

(٢) كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين – الجزء الأول – المرجع السابق .

اتساع ولاية القضاء :

لم يكن هناك تحديد دقيق للوظائف التى يتقلدها القاضى ، وكانت تختلف اتساعًا وانكماشًا تبعًا لشخصية القاضى ومقدار نفوذه ، وتبعًا كذلك لشخصية الخليفة أو الأمير ، وفى الصدر الأول للإسلام كان القضاة قممًا فكرية نالت ثقة بعيدة ، وكان الخلفاء يعاونونهم ويوسعون اختصاصاتهم .

ففى العصر الأموى : كان القاضى يجمع أحيانًا بين ولاية القضاء فى الأمور المدنية والقضايا المتعلقة بالدين وبين ولاية النظر فى الجرائم والشرطة ، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذى جمع له القضاء والشرطة والنظر فى أموال اليتامى .

وكان الحال كذلك فى العصر العباسى مع بعض القضاة الأعلام : وقد حدث الكندى فى كتابه قضاة مصر أنه لما قدم هارون بن عبد الله إلى مصر قاضيًا من قبل المأمون لم يبق شىء من أمور القضاء حتى شاهده بنفسه ، وأشرف عليه ومن أبرز ما عنى به الأوقاف واليتامى ، كما أنه أورد أموال الغيب وأموال من لا وارث له إلى بيت المال .

أما فى حاضرة الدولة العباسية فقد امتد نفوذ القضاة إلى الإشراف على دار الضرب وبيت المال ثم صار فى القرن الرابع الهجرى للقاضى الإشراف على سجون البلاد التى يلى قضاءها فاختص القضاة من ذلك بما يسمى (حبوس القضاة) ، وهى السجون الخاصة بمن يحبس لدين عليه وذلك فى مقابل (حبوس المعونة) ، وهى التى يحبس فيها أصحاب الجنايات[1] .

(١) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام للمرجع السابق .

مراقبة القضاة :

إن الإسلام وإن كان قد قرر مبدأ استقلال القضاء وحريته ، لكنه يجعل للخليفة أو الوالى الحق فى مراقبة القضاة والكشف على أعمالهم لأن الخليفة أو الوالى يملك تعيين القضاة ومن ثم مراقبتهم وعزلهم إن كان هناك من الأسباب ما يدعو لذلك .

وفى هذا يقول الإمام الطرابلسى فى كتابه معين الحكام (ينبغى للإمام أن يتفقد أحوال قضاته فإنهم قوام أمره ورأس سلطانه ، وكذلك قاضى القضاة ينبغى له أن يتفقد قضاته ونوابه فيتصفح أقضيتهم ويراعى أمورهم وسيرتهم فى الناس ، وعلى الإمام والقاضى الجامع لأحكام القضاء أن يسأل الثقات عنهم فإن كانوا على طريق الاستقامة أبقاهم ، وإن كانوا على غير ذلك عزلهم ووجه الكشف عن عمل القاضى هو أن يبعث الإمام إلى رجال يوثق بهم من أهل بلده فيسألهم سرا فإن صدَّقوا ما قيل فى القاضى من الشكاية عزله ونظر فى قضاياه :

فما وافق الحق أمضاه وما خالفه فسخه ، فإن لم يصدقوا الشكاية فإنه ينظر فى قضاياه فما وافق السنة مضى وما لم يوافق شيئًا من أهل العلم رده وحمل ذلك إلى الخطأ وأنه لم يتعمد الجور[1] .

تأمين القضاة ضد العنت والعزل :

حرص الفكر الإسلامى على تأمين القضاة ضد العنت والعزل بدون سبب حتى رأينا قاضيًا يرى نفسه أثبت فى عمله من الخليفة فقد كتب القاضى أبو حامد الإسفرائينى قاضى بغداد إلى الخليفة (اعلم أنك لست

(١) نقلاً عن كتاب الحكومة والقضاء فى الإسلام المرجع السابق .

بقادر على عزلى عن ولايتى التى ولانيها الله تعالى ، وأنا أقدر أن أكتب إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث فأعزلك عن خلافتك) .

وكانت الجماهير تحرص على سلامة القاضى وترى فى إقدام السلطة السياسية على عزله تحديا للفكر الإسلامى ولحق الجمهور ، ومن هنا أصبح الولاة يفكرون طويلاً إذا حدثتهم أنفسهم بالإقدام على عزل القضاة حتى لا يتعرضوا لسخط العامة أى جمهور المسلمين .

ويروى فى ذلك أن الملك الكامل حضر مجلس القضاء عند القاضى ابن عين الدولة ، وعرضت قضية فأدلى السلطان بشهادته ولكن القاضى رفض أن يأخذ بها وقال : (السلطان يأمر ولا يشهد) فأعاد الملك الكامل شهادته وتمسك القاضى برأيه فغضب الملك الكامل وسأل القاضى (أنا أشهد فهل تقبلنى) ؟

فقال القاضى (لا ، كيف أقبلك والغوانى يغنين بين يديك كل مساء) ..

فغضب الملك الكامل وأحس القاضى بذلك ، فأعلن أنه عزل نفسه ولكن حاشية الملك خافوا من رد فعل ذلك ، وذكروا للملك الكامل أن فى ذلك ما يهدد مستقبله ، فاضطر الملك أن يسترضى القاضى حتى قبل وعاد إلى القضاء[1] .

لايعزل القاضى بعزل الخليفة أو موته :

ذلك أن الخليفة عَيَّن القاضى باسم الأمة وفى حق الأمة بخلاف الوزراء الذين يعينهم الخليفة ، استكمالا لذاته فهو يعينهم بسلطانه لا بسلطان الأمة[2] .

---

(١) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام- المرجع السابق .

(٢) كتاب من توجيهات الإسلام للمرحوم الشيخ محمود شلتوت باب الحكم فى الإسلام – مطبوعات إدارة الثقافة بالأزهر سنة ١٣٧٩هـ . ديسمبر سنة ١٩٥٩م .

علم اشتغال القاضى بالسياسة العامة مبدأ إسلامى أصيل :

فقد اقتضته طبيعة القضاء وضرورة أن يكون محايدًا لأن الاشتغال بالسياسة العامة قد يكون من شأنه انحياز القاضى إلى موجبات هذه السياسة مما يخل بجلال القضاء وحتى لا ينشغل بغير عمله القضائى وما أكثره وما أشقه.

وعليه فليس للقاضى أن يتدخل فى شئون حكم البلاد ، وليس له أن يحرم الخصم من حقه باعتبار أن رأيه مخالف لرأى الوالى مثلاً لكونه من الخوارج أو الشيعة أو غيرهم من الجماعات التى كانت تناهض الحكام والولاة فالجميع أمام القضاء الإسلامى سواء يتمتعون بحمايته مهما كانت دياناتهم ومذاهبهم السياسية وآراؤهم فى الحكام والولاة[1] .

جلسات القضاء علنية :

وذلك واضح من اتخاذ المساجد مكانًا لها ، فالمساجد مفتوحة للجميع ، ولما جلس بعض القضاة فى دورهم اتخذوا لهم بها مكانًا بارزًا يشرف على الطريق بحيث يكون مفتوحًا للجميع .

وعلانية القضاء ضمان عظيم لسلامة المحاكمة وسيرها فى طريق سديد لأن الرأى العام يملك دخول الجلسة والتعرف على التهمة وعلى الدفاع والحكم فهو بهذا قوة هائلة لا يستهين بها القاضى فكأن الرأى العام حراسة قوية للعدالة ، وقد أصبحت العلانية عرفًا سائدًا فى العالم كله ، ولعل العالم اقتبس تثبيت هذا العرف من الفكر الإسلامى[2] .

---

(١) كتاب الحكومة والقضاء فى الإسلام المرجع السابق .

(٢) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام - المرجع السابق .

ليس فى الحكم شفاعة :

فلقد كان التحرج شديدًا عند القضاة رغبة فى الوصول إلى العدل الخالص وألا يأخذ القاضى أى جانب مع أى من المتخاصمين ، ويذكر الكندى أن السُّرِى بن الحكم والى مصر ، ولى إبراهيم بن إسحق قضاء مصر سنة ٢٠٤ هجرية ، ومن القضايا التى عرضت عليه قضية رجلين اختصما فى شىء ، فحكم لأحدهما على الآخر فتقدم المحكوم عليه إلى السُّرِى ، وكان حظيًا عنده يطلب شفاعته لدى القاضى أو يرجو عدم تنفيذ الحكم ، فأمر السُّرِى أن يتوقف تنفيذ الحكم حتى يصطلحا أو يحكم هو بينهما بنفسه .

ولما عرف القاضى إبراهيم بن إسحق ذلك جلس فى منزله احتجاجًا على هذا التصرف وتوقف عن القضاء فركب إليه السُّرِى بن الحكم وسأله الرجوع إلى عمله ، فقال إبراهيم بن إسحق (لا أعود إلى ذلك المجلس أبدًا فليس فى الحكم شفاعة)[1]

حرص الفكر الإسلامى على الفصل بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية :

مع أن وظيفة القاضى كانت تتسع وتنكمش تبعًا لشخصية القاضى ومقدار نفوذه كما قدمنا ، وتبعًا لشخصية الخليفة أو الأمير إلا أنها لم تشمل أعمال السلطة التنفيذية أى جهاز الحكم ، مما يدل على حرص المسلمين على الفصل بين السلطتين التنفيذية والقضائية منذ أقدم عصورهم[2] .

---

(١) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام – المرجع السابق .

(٢) كتاب تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام – المرجع السابق .

المشرع المصرى فى زماننا المعاصر أخذ بمبدأ عدم اشتغال القاضى بالأعمال السياسية :

ولا يفوتنا قبل أن نختم هذا المقال أن ننوه بما قام به المشرع المصرى فى القانون رقم ٤٦ سنة ١٩٧٢ بشأن السلطة القضائية ، فقد نص فى المادة ٧٣ من هذا القانون (أنه يحظر على المحاكم إبداء الآراء السياسية ، ويحظر كذلك على القضاة الإشتغال بالعمل السياسى ، ولا يجوز لهم الترشيح لمجلس الشعب ، أو الهيئات الاقليمية أو الهيئات أو التنظيمات السياسية إلا بعد تقديم استقالاتهم)[1] .

(١) كتاب الحكومة والقضاء فى الإسلام – صفحة ٤١ .

شريعة الإسلام
هل تتسم حقًا بالعنصرية
كما يزعم الفاتيكان ؟

أذاعت وسائل الإعلام العالمية ، ونقلت عنها بعض الصحف المحلية فى مصر أن الأسقف (رينانتو مارتينو) ، ممثل الفاتيكان فى لجنة الشئون الاجتماعية التابعة للأمم المتحدة ، اتهم الإسلام بالعنصرية ، وذلك خلال مناقشة قضايا التمييز العنصرى وغيرها من القضايا الاجتماعية الأخرى ، واستطرد للتدليل على كلامه إلى القول : بأن الشريعة الإسلامية تطبق على كل المواطنين بغض النظر عن معتقداتهم الدينية .

وقد استنكر مندوبو مصر والعراق والسعودية والكويت والسودان وباكستان ، وإيران ما جاء بكلمة ذلك الأسقف ممثل الفاتيكان باللجنة المشار إليها ، وفندوا مزاعمه ومما جاء فى ردهم : أن دولهم وهى تندد بالتمييز العنصرى الذى تمارسه إسرائيل فى الأراضى العربية المحتلة لم تتطرق إلى ذكر الدين اليهودى ، وكذلك وهى تندد بسياسة التفرقة العنصرية التى تمارسها حكومة جنوب أفريقيا لم تتطرق إلى ذكر الدين المسيحى .

كما قرر مندوبو الدول الإسلامية أن الإسلام هو دين العدالة والمساواة وهو يعترف باليهودية والمسيحية بين الديانات السماوية ، وأن شريعة الإسلام تعامل الذين يعيشون فى كنفها من غير المسلمين معاملة حسنة ولا تمارس معهم أية تفرقة .

وعندما رد عليه مندوبو الدول الإسلامية وكشفوا زيف ادعاءاته تراجع الأسقف المذكور واعتذر عما جاء فى كلمته[1] .

وواقعة اتهام ذلك الأسقف للشريعة الإسلامية وإن كانت قد انتهت من الناحية السياسية لكنها تحتاج إلى بعض الرد من الوجهة العلمية مما سنفرد له هذا المقال .

موقف الإسلام من العنصرية :

عندما أشرقت شمس الإسلام على هذه الدنيا منذ أربعة عشر قرنًا قرر أن بنى آدم من ناحية الخلقة يستوون فى أنهم نفخة من روح الله جل وعلا حلت فى إهاب من تراب هذه الأرض يجمعهم نسب مشترك قال تعالى : ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَه مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[2] .

فالإسلام لا يفرق بين جلد أبيض أو أسود ، أو أصفر أو أحمر ، ويعتبر أن هذه الألوان المختلفة تشابه ما تراه العيون من اختلاف فى ألوان الأزهار والورود دون أن تدل على عراقة أو حطة قال الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3] .

---

(١) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ٢٠ربيع الأول سنة١٤١٠هـ ٢٠ أكتوبر سنة١٩٨٩م.

(٢) سورة السجدة : ٧ – ٩ .

(٣) سورة الحجرات : ١٣ .

فى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب اللهم فاشهد »[1] .

كيف قضى الإسلام على التفرقة العنصرية ؟ :

كان ذلك بما نهجه من تقرير العدل وهو إعطاء كل ذى حق حقه من غير تحيز أو محاباة أو تفرقة بين المستحقين ، أو تدخل لهوى نفسى وبذلك حدد حقوق الراعى والرعية وواجبات الحاكم والمحكومين ومن أمثلة ذلك :

١ - أنه أوجب الزكاة على الأغنياء حقًا للفقراء وحبب فى صدقة التطوع .

٢ - وشرع الصيام ليشعر الغنى بحاجة الفقير .

٣ - وأوضح حقوق الزوجين والأولاد .

٤ - وفصل أحكام المواريث . وغيرها ، مما كان له أثره فى تأصيل قواعد العدل فى المجتمع الإسلامى .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من أسماء الله الحسنى (العدل) ومعناه المنزه عن الظلم والجور فى أفعاله وأحكامه ، فهو يعطى كل ذى حق حقه ويضع كل شىء فى موضعه .

---

(١) كتاب مقارنة الأديان ، الإسلام تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة السادسة عام ١٩٧٩ .

وكذلك من أسمائه الحسنى أيضا (المقسط) ويعنى العادل فى حكمه الذى ينتصف للمظلوم من ظالمه[1] .

العدل فى القرآن الكريم :

وردت مادة (العدل) فى القرآن الكريم (١٨) مرة ، ووردت مادة (القسط) بمعنى العدل (٢٣) مرة ، ومثال ذلك قول الله تعالى :

١ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[2] .

٢ - ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾[3] .

٣ - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[4] .

٤ - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ﴾[5] .

٥ - ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾[6] .

كما تكرر قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فى القرآن ثلاث مرات وذلك فى الآية ٤٢ من سورة المائدة ، والآية ٩ من سورة الحجرات ، والآية ٨ من سورة الممتحنة .

---

(١) كتاب أخلاقنا تأليف الدكتور محمد ربيع محمد جوهرى طبعة عام ١٩٨٨ ، المؤسسة العربية الحديثة .

(٢) جزء من الآية : ٩٠ من سورة النحل .

(٣) جزء من الآية ١٥ من سورة الشورى .

(٤) جزء من الآية : ١١٥ من سورة الأنعام .

(٥) جزء من الآية ٢٩ من سورة الأعراف .

(٦) جزء من الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

أما مادة (**الظلم**) فقد تكررت فى القرآن الكريم (٢٨٧) مرة ومثاله قول الله تعالى :

١ – ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١] .

٢ – ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[٢] .

٣ – ﴿إِنَّ اللَّهَ لايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٣] .

٤ – ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[٤] .

وحذرنا سبحانه وتعالى من الظالمين فقال جل وعلا :

١ – ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[٥] .

٢ – ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[٦] .

٣ – ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٧] .

٤ – ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[٨] .

وهدد سبحانه الظالمين فقال :

١ – ﴿وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٩] .

---

(١) جزء من الآية ٤٩ من سورة الكهف .
(٢) جزء من الآية ٣١ من سورة غافر .
(٣) جزء من الآية ٤٠ من سورة النساء .
(٤) جزء من الآية الأولى من سورة الطلاق .
(٥) جزء من الآية ١١٣ من سورة هود .
(٦) جزء من الآية ٥٩ من سورة الكهف .
(٧) جزء من الآية ٢١ من سورة الأنعام .
(٨) جزء من الآية ٥٢ من سورة النمل .
(٩) جزء من الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

٢ – ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[١] .

٣ – ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[٢] .

٤ – ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[٣] .

العدل فى السنة النبوية المطهرة :

اهتم رسول الله ﷺ اهتمامًا بالغًا (بخلق العدل) وذلك فى **أقواله وأفعاله** فمثاله من أقواله :

١ – « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا »[٤] .

٢ – « إنّ الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٥] .

٣ – « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه »[٦] .

---

(١) جزء من الآية ٦٥ من سورة الزخرف .

(٢) جزء من الآية ٤٢ من سورة إبراهيم .

(٣) جزء من الآية ٢٩ من سورة الكهف .

(٤) رواه مسلم فى الإمارة باب فضلية الإمام العادل كما رواه النسائى ورد ذلك فى كتاب الإمارة والقضاء فى كتاب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور على ناصف المجلد الثالث طبعة بيروت .

(٥) سورة هود : ١٠٢ والحديث أخرجه البخارى فى التفسير ومسلم والترمذى ذكر ذلك الإمام السيوطى فى الجامع الكبير العدد ١٣ من الجزء الأول فى السنن القولية

(٦) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وكذلك ابن ماجة والبيهقى فى السنن جاء ذلك فى الجامع الكبير للسيوطى العدد السابع عشر من الجزء الأول فى السنن القولية الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

٤ – « لعن الله من رأى مظلومًا فلم ينصره »[١] . وفى رواية أخرى « قال ربك عز وجل وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلومًا فقدر أن ينصره فلم يفعل »[٢] .

٥ – « اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصرًا غير الله »[٣] .

أما مثاله من أفعاله صلوات الله وسلامه عليه : (أنه وقف فى نهاية حياته وفى مرض وفاته على منبر مسجده بالمدينة فقال « من كنت جلدت له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليستقد منه ، لا يقولن رجل إنى أخشى الشحناء من قبل رسول الله ﷺ ، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى ألا وإن أحبكم إلى من أخذ حقًا كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس ، فقام رجل إليه فقال يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم قال : أما إنا لا نكذب أحدًا ولا نستحلفه ، وفيما صارت لك عندى ؟

قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها إليه ؟
قال ادفعها إليه يا فضل)[٤] .

وبهذا الموقف رفع ﷺ راية العدل ، وأقام دعائم الأمن وقوض أركان الظلم وحمى الناس من استبداد الطغاة المتجبرين وعبث العابثين المستهترين[٥] .

---

(١) رواه الديلمى عن ابن عباس .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط جاء ذلك فى الجامع الكبير للسيوطى العدد السادس من الجزء الثالث من السنن القولية المرجع السابق .

(٣) رواه الديلمى والطبرانى فى الكبير جاء ذلك فى الجامع الكبير للسيوطى العدد التاسع من الجزء الأول فى السنن القولية .

(٤) رواه الطبرانى « وأبو يعلى » .

(٥) كتاب أخلاقنا المرجع السابق .

مجالات العدل :

إن مجالات العدل فى الإسلام كثيرة متنوعة فصلتها السنة المطهرة وهى :

١ – عدل الإنسان مع نفسه .
٢ – العدل فى مجال الأسرة .
٣ – العدل مع اليتامى .
٤ – العدل فى القول والشهادة .
٥ – العدل فى المعاملات التجارية والمالية .
٦ – العدل بين المتخاصمين .
٧ – العدل فى الحكم .
٨ – العدل مع الأعداء .
٩ – العدل مع أهل الكتاب .

ونكتفى فى هذا المقال بما ذكرناه وأشرنا إليه عن السبعة الأولى منها ويمكن لمن أراد المزيد من التفصيل أن يرجع لكتب الفقهاء المختلفة لكنا نتجاوزها للكلام بشىء من التفصيل بالنسبة إلى العدل مع الأعداء والعدل مع أهل الكتاب[1] .

فالعدل مع الأعداء :

هو لون عظيم من ألوان العدل التى أتى بها الإسلام لا نجد فى غيره مثيلاً له قال الله تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِين لِلَّهِ شُهَدَاءَ

(١) كتاب أخلاقنا المرجع السابق .

بِالْقِسْطِ ، وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلا تَعدِلوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] .

فالآية الكريمة تشير إلى أن البغض والكراهية لقوم يجب ألا تحمل المسلمين على ترك العدل معهم أو ظلمهم .

العدل مع أهل الكتاب :

لما جاء الإسلام كان حاسمًا فى تشريعه إذ جعله عامًّا للناس جميعًا وإن اختلفت أجناسهم أو طبقاتهم أو عقائدهم فلا عنصرية أو تفرقة كما يزعم الأسقف الكاثوليكى ممثل الفاتيكان ، وإذا كان الإسلام أوجب على أهل الذمة أى أهل الكتاب أن يلتزموا أحكامه التى تطبق على المسلمين فلأنهم بمقتضى الذمة أصبحوا يحملون جنسية الدولة الإسلامية فعليهم أن يتقيدوا بقوانينها وتشريعها شأنهم شأن باقى رعاياها من المسلمين[2] .

وهذه هى العدالة والمساواة فى أبهى صورها ، ومع ذلك فقد استثناهم من بعض التكاليف ، والقوانين التى تمس عقائدهم وحريتهم الدينية طبقًا لما يلى :

أولا : ليس عليهم أى تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين ، أو التى لها طبيعة تعبدية أو دينية .

١ - مثل الزكاة التى هى ضريبة وعبادة فى الوقت نفسه .

٢ - ومثل الجهاد الذى هو خدمة عسكرية وفريضة إسلامية .

---

(١) سورة المائدة : ٨ .

(٢) كتاب أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الإسلام تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان الأستاذ بجامعة بغداد طبعة سنة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م صفحة ٣٤ .

ومن أجل ذلك فرض الإسلام الجزية على أهل الكتاب بدلاً من الزكاة والجهاد كما قدمنا رعاية لشعورهم الدينى أن يفرض عليهم ما هو من عبادات الإسلام .

ثانيا : وليس عليهم فى أحوالهم الشخصية والاجتماعية أن يتنازلوا عما أحلَّه لهم دينهم وإن كان قد حرمه الإسلام كما فى الزواج والطلاق وأكل الخنزير وشرب الخمر ، فالإسلام يقرهم على ما يعتقدون حله ولا يتعرض لهم فى ذلك بإبطال ولا عقاب .

فمثلاً المجوسى الذى يتزوج إحدى محارمه ، واليهودى الذى يتزوج بنت أخيه ، والمسيحى الذى يأكل الخنزير ويشرب الخمر لا يتدخل الإسلام فى شئونهم هذه ماداموا يعتقدون حلها ، والمسلمون يتركونهم وما يدينون .

لكن أهل الكتاب إذا رضوا بالاحتكام إلى شرع المسلمين فى هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الإسلام لقوله تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾[1] .

ويرى بعض الفقهاء أننا مخيرون إذا احتكموا إلينا : إما أن نحكم بشريعة الإسلام أو نترك فلا نحكم بشىء لقوله تعالى : ﴿فَإِن جَاءوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنَ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئًا ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2] .

وفيما عدا ذلك يلزمهم أن يتقيدوا بأحكام شريعة الإسلام فى الدماء والأموال والأعراض أى فى النواحى المدنية والجنائية ونحوها شأنهم فى

---

(١) سورة المائدة : ٤٩ .

(٢) سورة المائدة جزء من الآية ٤٢ .

ذلك شأن المسلمين تطبيقًا لمبدأ سيادة الدولة على إقليمها وعلى رعاياها وعلى الأشخاص المقيمين على إقليمها من رعاياها[1] .

وبالمفهوم الإسلامى يعبر الفقهاء عن ذلك بقولهم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) ، وهو فى الجملة لا فى التفصيلات وهذه هى العدالة والمساواة وليست العنصرية كما يزعم أعداء الإسلام .[2]

وإذا كانت الأمور تعرف بأضدادها كان من المناسب فى هذا المقام أن نشير إشارة يسيرة إلى ما شاب اليهودية والمسيحية من عنصرية طبقًا لما هو ثابت بنصوص كتبهما المقدسة عندهم :

أولاً – لما جاءت اليهودية : جعل اليهود من أنفسهم شعبًا مختارًا يفوق كل الشعوب ثم راح اليهود داخل شعبهم يكونون الطبقات المتميزة فباركوا أبناء إسحق وحرموا أبناء إسماعيل مع أن إسماعيل أخ لإسحق وأبوهما إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام ثم باركوا أبناء يعقوب وهم الإسرائيليون ، ولعنوا أبناء أخيه الأكبر عيسو مع أن عيسو أخ ليعقوب ، وأبوهما إسحق عليه السلام ، وسار اليهود على مبدأ التفريق بين البشر إلى أبعد الشوط فجعلوا الرحمة والعطف والإخاء والمودة وقفا على اليهود ومحرمة على سواهم[3] ولنضرب على ذلك مثلاً واحدًا هو عن القرض ، فقد حرموا الربا فيما بينهم وأباحوه لأنفسهم مع غيرهم ويشير إلى ذلك ما ورد فى العهد القديم من

---

(١) كتاب القانون الدولى العام تأليف دكتور محمود سامى جنينة الأستاذ السابق بكلية الحقوق صفحة ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) كتاب غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى تأليف الدكتور يوسف القرضاوى الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

(٣) كتاب مقارنة الأديان الإسلام تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة السادسة عام ١٩٧٩ صفحة ١٨٠ .

قوله (للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها)[1] .

ثانيا – إن المطلع على نصوص الأناجيل المتداولة بين أيدى المسيحيين فى زماننا المعاصر يلاحظ وجود أقوال تنسب إلى المسيح عليه السلام ، أو إلى غيره تشير بصريحها إلى العنصرية ومن أمثلة ذلك :

١ – كلام رؤساء الكهنة وكتبة الشعب عندما سألهم هيرودس الملك أين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل[2] .

فالرعاية من هذا المسيح المدبر لشعب واحد هو شعب الإسرائيليين فقط من دون العالمين على وجه هذه الأرض .

٢ – القول المنسوب للمسيح فى إنجيل متى وهو يوصى تلاميذه وحواريه (لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دركم قدام الخنازير)[3] ، فهذه وصية تتجلى فيها العنصرية نسبوها إلى المسيح يطلب فيها من تلاميذه الاستئثار بالتعاليم المقدسة ، وألا يعرضوها على غير الإسرائيليين الذين وصفهم تارة بالكلاب وتارة بالخنازير .

---

(١) انظر سفر التثنية فى العهد القديم إصحاح ٢٣ عدد ٢٠ .

(٢) إنجيل متى ، الإصحاح الثانى عدد ٣ – ٦ .

(٣) إنجيل متى ، الإصحاح السابع عدد ٦ .

٣ - قوله المنسوب للمسيح إلى تلاميذه (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[١] .

فواضح من هذا النص أن المسيح يوصى تلاميذه بأن تكون التعاليم التى لقنها لهم يخصون بها الإسرائيليين فقط من دون الناس .

٤ - ما جاء فى قصة المرأة الكنعانية فى إنجيل متى وذلك فى قوله : (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ... الخ ، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، فأتت له قائلة : يا سيد أعنى فأجاب ، وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب)[٢] .

أرأيت كيف يشير هذا النص إلى أن العالمين عدا الإسرائيليين هم والكلاب سواء فلا يستحقون أى معاونة أو هداية من جانب يسوع[٣] .

فأين هذا من قول الله تعالى فى القرآن الكريم لرسوله محمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٤] .

(١) إنجيل متى ، الإصحاح العاشر عدد ٥ - ٦ .
(٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس عشر عدد ٢١ - ٢٦ .
(٣) كلمة يسوع تعنى المسيح فى كتبهم .
(٤) سورة الأنبياء ، ١٠٧ .

وبعد

فإن الإسلام يكاد يكون منفردًا من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلادليل وتوبيخ المتبعين للظنون وتبكيت الخابطين فى عشواء العماية ولا يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية .

ويبدو أن ما قام به أسقف الفاتيكان المشار إليه ، هو تطبيق لنظرية الدعاية السوداء التى ابتدعها أعداء الإسلام طعنًا فيه ، تلك الدعاية التى لا يُعرف لها مصدر لكنها هى ونظرية الدعاية الرمادية المبتدعة منهم تقومان على الكذب ، وتزييف الواقع ومحاولة تلوين الحقائق بألوان الأهداف التى يسعون إليها فى محاولة لتشويه صورة الإسلام المشرقة أمام العالمين[1] .

والتاريخ وهو أكبر شاهد وأصدقه يقول لنا : إن التعصب المسيحى كان وما يزال وراء كل مخطط يهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين مستخدمين فى ذلك كل الوسائل والأساليب ، وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام تلك الجولات المشبوهة لبابا الفاتيكان فى دول أفريقيا ذات الكثافات المسلمة منذ عام ١٩٨٦م وما صرح به علانية للصحف فى نهاية إحدى جولاته فقال : (على الإسلام أن يرحل عن أفريقيا)[2] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] .

(١) كتاب الدوائر الدعائية المعادية للإسلام تأليف الأستاذ حسن على العنيبسى ص٤٥.

(٢) المرجع السابق صفحة : ٩٢ .

(٣) سورة الصف آية : ٨ .

محنة المسلمين
فى بلاد الهند

لو أن عقلاً – الكترونيا – من تلك العقول التى صنعتها الحضارة الحديثة ، توفر على إحصاء دقيق لتلك الملايين من الرءوس البشرية ، التى انفصلت عن أجسادها فى غير حرب وبلا ثمن ، ولتلك الدماء التى سالت وأهدرت بالشعارات البشرية الجوفاء ، لأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الدم الإسلامى هو أرخص الدماء فى الأرض فى زماننا المعاصر ، وحتى لا يتشعب بنا البحث نقتصد فى هذا المقال على ما يعانيه المسلمون حاليا فى بلاد الهند من المآسى التى تشيب لها رءوس الولدان ، هؤلاء المسلمين الذين يبلغون أكثر من ١٤٠ مليونًا من البشر ، لقد رددت بعض وسائل الإعلام الخارجية طرفًا مما يعانونه من اضطهادات منكرة ، وصلت إلى حد اغتيال الكثير من رجالهم ، وسفك دماء أبنائهم ، وهتك أعراض نسائهم ، ونهب أموالهم ، وإحراق متاجرهم مما يذكرنا بزمن الاستعمار البريطانى ، عندما كان قابعًا على شبه القارة الهندية قبل الاستقلال ، إذ كان الهندوس عبدة البقر يتعاونون مع المستعمرين الإنجليز عبدة المسيح على إبادة المسلمين ، لدرجة أن هؤلاء الإنجليز كانوا يجعلون من المسلمين الهنود بديلا للدواب التى يسوقونها أمامهم ، ليكونوا ضحية الألغام الموضوعة فى باطن الأرض[1] .

(١) كتاب (المسلمون فى معركة البقاء) للدكتور عبد الحليم عويس طبعة سنة ١٩٧٧ دار الصحوة بالقاهرة .

كيف دخل الإسلام بلاد الهند ؟رجعة إلى التاريخ :

تعتبر الهند من الأمم العريقة ذات الحضارة القديمة التى كانت لها على مر التاريخ صلات مع الأمم التى حولها ، ولاسيما جزيرة العرب مهد الإسلام ، وكان التجار والبحارة من العرب والهنود من دعائم هذه الصلات ، وقد ذكر ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك ، أن البضائع الهندية كانت توجد فى أسواق بلاد العرب قبل زمان البعثة المحمدية .

فلما ظهر الإسلام ودخل العرب فى دين الله أفواجًا كان من هؤلاء التجار والبحارة مسلمون فحملوا معهم دينهم الجديد إلى هذه البلاد التى يتعاملون معها ، وما كان يمتاز به من عقيدة الإله الواحد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعًا .

ولما كانت الهند تئن وقتئذ ، ومازالت تحت ثقل التفرقة ونظام الطبقات القاسى وتعدد الآلهة مما تزخر به الديانة الهندوسية ، لذلك كان من الطبيعى أن تتفتح قلوب بعض أولئك الهنود خصوصًا طبقة المنبوذين لدعوة الإسلام ، فاعتنقوها ليتخلصوا من نظام الطبقات الذى أصابهم بالعناء النفسى والاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كما ينفضون عن أنفسهم عبادة البقر وغبار الوثنية المحشوة بالخرافات ، وبذلك أصبح فى كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون العرب جماعة من أهل الهند اعتنقوا الإسلام ، وأقاموا المساجد ، وباشروا شعائرهم فى حرية تامة وذلك لما كان للمسلمين العرب من مكانة عند حكام هذه المدن ، باعتبارهم من أكبر العوامل لرواج تجارتهم ولما كانوا يتحلون به من صدق وإخلاص فى المعاملة[1] .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا) . تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

جيوش الفتح الإسلامى تطرق أبواب الهند :

بدأت تلك الحملات منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث وجه عثمان بن أبى العاص الثقفى والى البحرين وعمان عام ١٥ هجرية أخاه الحكم بن أبى العاص بحملات خاطفة استطلاعية إلى **تانة** شمال مدينة بومباى ببلاد الهند ، ثم حملة أخرى إلى **بروص** شمال مدينة سورت فى إقليم كجرات الهندى ، وحملة ثالثة إلى مدينة **الديبل** (قريبة من مدينة كراتشى فى الباكستان حاليا) واستمرت تلك الحملات الاستطلاعية فى عهد خلافة الراشدين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، ثم فى عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان حيث غزاها المهلب بن أبى صفرة سنة ٤٤ هجرية[١]

محمد بن القاسم هو أول قائد إسلامى نجح فى فتح الهند :

فقد وجهه حاكم العراق الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٩٢ هجرية ، على رأس حملة إلى بلاد الهند زمن خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى ، فانتصر فى جميع المعارك التى خاضها حتى وصل إلى (**مولتان**) فى شمال الهند ، وبذلك أخضع بحملته إقليم السند بأكمله ، ثم ساس البلاد التى فتحها بالحلم والعدل ، لكنه قُتِل بفعل الأحقاد والدسائس التى حيكت ضده من رجال الحكم الأمويين زمن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك[٢] .

---

(١) كتاب فتوح البلدان للإمام أحمد بن يحيى البغدادى الشهير بالبلاذرى باب فتوح السند طبعة الموسوعات سنة ١٣١٩هـ - سنة ١٩٠١م .

(٢) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تأليف الدكتور عبد المنعم النمر الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - سنة ١٩٨١م بيروت لبنان .

ثم استقر الإسلام هناك فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، الذى كتب لملوك السند يدعوهم للإسلام على أن يظلوا فى مراكزهم ، فأسلم بعضهم وتسموا بأسماء عربية وانتشر الإسلام فى ولاياتهم ولما تولى السلطان محمود بن سبكتكين أمور الدولة الغزنوية استأنف حملات الفتح الإسلامية على أرض الهند ، والتى بلغت عشرين حملة فضم إلى حكمه جزءا كبيرًا من أرض الهند من الغرب والشمال والجنوب الغربى ، ولما جاءت الدولة الغورية سارت على خطة الدولة التى سبقتها فى فتح الهند لاسيما فى عهد السلطان شهاب الدين عام ٥٨٢ هجرية ، وقطب الدين أيبك الذى فتح مدينة دهلى عام ٥٨٩ هجرية واتخذها عاصمة له .

وأخيرًا جاءت الدولة التيمورية أو المغولية التى أسسها (بايرشاه) من نسل القائد المغولى تيمورلنك عام ٩٣٢ هجرية ، فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامى فى بلاد الهند ، وقد بلغ ذروة القوة والاتساع فى عهد أحد ملوكها وهو الإمبراطور (أورنكيب) أو (عالمكير) عام ١٠٦٩ – ١١١٨ هجرية ، التى توافق ١٦٥٩ – ١٧٠٧ ميلادية فقد ضم الهند كلها تقريبًا تحت سلطانه مما لم يسبق له مثيل من قبل[1] .

ضعف الدولة التيمورية وغلبة الاستعمار البريطانى على الهند

بعد وفاة الإمبراطور أورنكيب جاء بعده ملوك ضعاف فأخذت دولة الإسلام هناك تتفتت شيئًا فشيئًا وينحسر نفوذ ملوكها ، وينكمش سلطانهم حتى أصبحوا صورة لا نفوذ لها ، ومن خلال هذا الضعف وهذا التفتت أخذت الدول الغربية تتصارع فى بسط نفوذها على الهند بواسطة شركاتها التجارية وكانت فى انطلاقها كالذئاب المسعورة ، تتصارع على الفريسة

(١) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق .

الدسمة كل يريد أن يلتهمها وحده وأخيرا استطاعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية بأن تقضى على نفوذ شركات باقى الدول الغربية ثم عملت على شل كل نفوذ للإمبراطور المسلم القابع على عرشه فى مدينة دهلى .

ولما حاول المسلمون الهنود الغيارى إنقاذ البلاد فى ثورة جامحة عام ١٢٤٧ هجرية - ١٨٥٧م تصدت لها الحكومة البريطانية بكل ما أوتيت من عنف وقوة ، ففشلت الثورة وتحمل المسلمون الهنود وحدهم نتائج هذا الفشل أمام العدو المنتصر :

١ - فمثل بهم الإنجليز شر تمثيل فاستباحوا أموالهم وصادروا ممتلكاتهم .

٢ - وعملوا على إذلالهم بكل الطرق ومطاردتهم أينما وجدوا والقضاء على كل حيوية فيهم .

٣ - ونتيجة لذلك قبضوا على الإمبراطور المسلم وحاكموه بتهمة تزعمه للثورة ، وحكموا عليه بالإعدام .

٤ - ثم قتلوا أولاده وقدموا رءوسهم له فى أطباق على مائدة طعامه .

٥ - ولما خففوا حكم الإعدام عليه قاموا بنفيه إلى مدينة رانجون عاصمة بورما ونفذ هذا النفى فى أكتوبر عام ١٨٥٨م حيث رحل هو وأسرته وحاشيته وأودعوا جميعًا السجون حتى توفى عام ١٢٧٩ هجرية التى توافق عام ١٨٦٢م .

٦ - وفى أول نوفمبر عام ١٨٥٨ ميلادية أعلنت فيكتوريا ملكة إنجلترا قرارًا بنقل حكم الهند من الشركة الإنجليزية إلى يد الحكومة البريطانية ، وضمت الهند جميعها لمستعمرات التاج ، وقبضت على البلاد هناك بيد من حديد لكن يملأ قلبها حقد يتقد على مسلمى تلك البلاد ، فانفردت بهم

تفعل كل ما يمليه عليه حقدها ، ويمكنه منه سلطانها ، وفى ذلك يقول نهرو رئيس وزراء الهند الأسبق الهندوكى فى كتابه من السجن إلى الرئاسة (كانت الحكومة البريطانية قد تعمدت سحق المسلمين وقمعهم إلى درجة أكبر مما فعلت بالهندوس)[1] .

كما صرح حاكم الهند الإنجليزى أيام الشركة المشار إليها عام ١٨٤٣م ، وهو اللورد ألنبرو المعروف بدوق ولنجتون فى تقرير له ، إذ قال بصريح العبارة : (إنه لا يمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهى أن الأمة المسلمة معادية لنا بطبيعتها ، فالبرنامج الحقيقى عندنا أن نبتغى مرضاة الهنادك)[2] .

خطط الإنجليز فى إبعاد السكان المسلمين عن أى نشاط فى بلادهم :

بعد أن تولت الحكومة الإنجليزية مسئولية الحكم فى الهند بدأت سياستها لإبعاد سكانها المسلمين فى قوانين مدروسة وخطط مرسومة كان الهدف منها تقليم أظافر المسلمين والقضاء على معنوياتهم وقتل كل أمل يراودهم فى استرداد مكانتهم السابقة بل وملاحقة كل ما يتصورونه من شعاع يؤدى إلى هذا الأمل بكل الطرق وكل الحيل فمن ذلك :

١ - اتجهوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية وذلك بمضاعفة ديونهم بأساليب الحيلة والخداع .

٢ - ثم ساعدوا المرابين الهندوس على انتزاع أملاكهم .

٣ - سدوا فى وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة .

---

(١) كتاب أبو الكلام آزاد - الجزء الأول تأليف الدكتور عبد المنعم النمر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٣٩٤هـ - سنة ١٩٧٤م .

(٢) أطلس تاريخ الإسلام - الهند الإسلامية - تأليف الدكتور حسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربى الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - سنة ١٩٨٧م .

٤ - كما وضعوا العراقيل المادية فى سبيل الذين يحترفون التجارة منهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

٥ - عملوا على اسقاطهم فى غيابات الجهل بعد أن كانوا حين دخل الإنجليز الهند أرقى السكان عقلاً وعلمًا وحكمًا وسياسة فحاربوا مدارسهم ونزعوا الأوقاف الإسلامية التى كانت موقوفة للصرف والإنفاق على تلك المدارس .

٦ - عمدوا إلى المسلمين الأغنياء ممن كانت تدفعهم حميتهم لمساعدة تلك المدارس فأرهبوهم أو أغروهم بالبعد عن مساعدتها حتى كفوا عنها فأغلق الكثير منها أبوابه .

٧ - وفى الوقت الذى كان المسلمون يقاطعون المدارس التى أنشأها الإنجليز ، كان الهندوس يقبلون على تلك المدارس فضلاً عن تشجيع الإنجليز لهم فى دخولها لأنهم عنصر أضمن لتنفيذ سياستهم ومآربهم ، ولهذا كله احتضنوهم ، وعملوا على زيادة الفرقة بينهم وبين المسلمين ليضمنوا ولاءهم .

٨ - وزادوا من إثارة أحقاد الهندوس على المسلمين بشتى الوسائل من صحافة ومؤلفات تفترى على الحكم الإسلامى ومواقفه من الهندوس ومناهج يدرسونها للطلبة فى المدارس مما قاسى منه المسلمون ألوانًا شتى من الشدائد من أبناء وطنهم فوق الشدائد التى كانوا يعانونها من المستعمر نفسه ، وهذه سياسة معروفة عن الإنجليز فى البلاد التى يستعمرونها ، وفى ذلك يقول جون مينورد عضو المجلس البريطانى لحاكم البنجاب : (إن الخلاف بين الهندوكيين والمسلمين على العموم بدأ فى عهد بريطانيا) .

٩ - وانتهز الكثيرون من الهندوس المحنة التى يمر بها المسلمون وراحوا يدعون جهرًا إلى التخلص منهم باعتبارهم دخلاء غزاة فاتحين[1] .

(١) كتاب أبو الكلام أزاد - الجزء الأول - المرجع السابق .

١٠ - وفى ذلك قال الزعيم الهندوكى ويكرام ساواركر فى محاضرة ألقاها بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٣م (على المسلمين أن يعلموا أن حزب المؤتمر لا يستطيع أن يحميهم ففى كلكتا وغيرها من المدن قتل آلاف المسلمين ، ونهبت منازلهم وحوانيتهم ، فلم يستطيع حزب المؤتمر ولا حكومة حزب المؤتمر حمايتهم ، إن المسلمين مثل النمل ويجب أن يسحقوا ولا يجب أن يعطى المسلمون حق التصويت لأنهم ليسوا وطنيين) .

هكذا استباح زعماء الطائفة الهندوكية دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم على مرأى ومسمع من حكومتهم ولم تمنع هذه البربرية من أن تظل الأحزاب الدموية هذه تحت مظلة الشرعية الهندية المتحيزة لتوغل فى دماء المسلمين ، وتذبح عشرات الآلاف منهم سنويًا دون أن يتحرك ما يسمونه ضمير العالم الحر والمنظمات الدولية[1] .

مأساة المسلمين الحالية فى الهند :

وحاليا يحدث فى الهند لسكانها المسلمين مآسى أفظع من كل المآسى المروية وإن وصف ما يحدث بالوحشية والبربرية فيه ظلم للبرابرة والمتوحشين ، وذلك على أيدى المتطرفين والإرهابيين الهندوس الذين سفكوا أنهارًا من الدماء كان ضحاياها من المسلمين العزل أطفالاً ونساء وعجزة وغيرهم من الشباب المسلم . وكان رجال الشرطة وإدارات الحكم ، يساعدون المعتدين الهندوس ضد المسلمين المسالمين .

وقد كشف أمر هذه المآسى البشعة عضوة هندوسية مثقفة تشغل مقعدًا فى البرلمان الهندى ، هى السيدة (اباوتى) عرضت نفسها وحياتها

(١) مجلة منار الإسلام بدولة الإمارات العربية المتحدة عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١١هـ - ١٨ ديسمبر سنة ١٩٩٠م .

للخطر من بنى قومها الهندوس وذلك دفاعًا عن الحق الأبلج فتقول فى بيان لها :

١ – لقد بدأت حوادث الصدام فى (مدينة بنجور) منذ يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٩٠ حيث قام كبير وزراء ولاية (أوتار–براديش) المدعو ، (ملائما سينغ يادوا) بمسيرة السلام التى أشاعت عنها العناصر الهندوسية المشاغبة كثيرًا من الأقاويل المثيرة بهدف إثارة الهندوس ضد العناصر المحبة للسلام ، وكان مخططًا لتفجير اضطرابات ليس فى مدينة (بنجور) وحدها ، وإنما فى جميع الأماكن التى يسكنها المسلمون عبر ولاية (أوتار براديش) .

٢ – وكانت الإدارة المحلية على علم بتأزم الوضع منذ يوم ٩ أكتوبر المشار إليه ، ومع ذلك سمحت للهندوس بالقيام بتلك المسيرة كما أشارت عليهم باقتحام الأحياء الإسلامية ، وعندما بدأ الصدام قام جهاز الشرطة P.A.C بتخريب شديد فى ممتلكات المسلمين ، وعمل على الفتك بهم وإبادتهم وتخريب أحيائهم وسلب ونهب أموالهم .

٣ – وعندما حاولت السيدة عضوة البرلمان الهندى الاتصال برئيس أحد الأحزاب الإسلامية بالمدينة المنكوبة قامت الإدارة بقطع جميع خطوط الاتصال التليفونية ، فقررت تلك السيدة زيارة مدينة بنجور على الفور ولكن الإدارة رفضت السماح لها بهذه الزيارة حتى لا ترى كيف تحصد أرواح المسلمين رخيصة دون أى أهمية تذكر من رجال الإدارة الهنود .

٤ – وأخيرًا تمكنت السيدة أباوتى من دخول المدينة ، فشاهدت الكثير من محلات المسلمين التجارية فى حى شيرين نهبت ، ثم أحرقت

وصارت رمادًا ، وتقدر خسارة المسلمين عنها بالبلايين وذلك على مرأى ومشهد من رجال الشرطة ، بينما دكاكين الهندوس لم تصب بأى سوء .

٥ – ومن المؤسف بل من المحزن أن رجال الشرطة اعتدوا على من نجا من المسلمين من القتل بكسر عظام أيديهم وأرجلهم كسرًا جعل حياتهم عبئًا عليهم ، كما انتهكوا حرمات النساء فاغتصبوهن عنوة ثم قاموا بقتلهن بعد ذلك تمامًا كما يفعل الجنود الإسرائيليون بنساء وأطفال المسلمين وبتعاون من الفريقين .

٦ – وبدلاً من قيام الإدارة بمحاسبة المعتدين الهندوس ومن عاونهم من رجال الشرطة فى عدوانهم الآثم على المسلمين قامت باعتقال الأبرياء من المسلمين .

٧ – تختم السيدة الهندوسية عضو البرلمان الهندى بيانها بقولها : إنها تعتقد جازمة أن الاضطرابات الطائفية ضد المسلمين قد أوقدت نارها بخطة مدروسة عبر الشريط الذى يسكنه المسلمون فى مديريات غازى أباد – وميروت – وبلند شهر – وعلى جراه – وسهاربنور – ومظفر نجر – وبنجور – ومراد أباد – ورامبور – وكانبور وغيرها من أماكن سكن المسلمين الكثيرة .

جمعية علماء الهند المسلمين تبعث وفدًا لزيارة المدينة المنكوبة :

زار وفد جمعية العلماء الأحياء الإسلامية وشاهد الدمار الشامل الذى لحق بالأحياء التى يقطنها المسلمون وجمعوا بعض الحقائق الدامية التى لا ينبغى أن تمر دون وقفة حازمة حاسمة من مسلمى العالم ، قبل أن تمتد يد الغدر الهندوسى إلى مزيد من الدموية التدميرية لأرواح المسلمين ،

وممتلكاتهم ، وأموالهم ومقدساتهم وقد ضمنوا ما شاهدوه فى تقرير نقتطف منه الحقائق الآتية :

أولاً : لما كان عدوان الهندوس على المسلمين تم على نطاق واسع لم يتيسر إعداد قائمة كاملة عن شهداء المسلمين لكن أمكن معرفة أسماء ٧٥ شهيدًا منهم ، كما وأن هناك عددًا كبيرًا من المسلمين اختطف بواسطة الهندوس المعتدين ورجال الشرطة ، ولم يعرف مصيرهم بعد ، وفى بعض الإحصاءات وصل عدد قتلى المسلمين إلى ألفين .

ثانيا : عدد محلات المسلمين المنهوبة والمحروقة فى حي (جاه شيرين وبى) ٢٤ ، وفى حى (لادوبورة) بلغت ٣١٥ دكانًا ، أما البيوت التى اقتحمها الهندوس ونهبوا محتوياتها ثم أحرقوها فقد بلغت حسب الإحصاءات المبدئية ٦٥٣ بيتًا فى حي بكلى ، ٢٧٩ بيتًا فى حى جاه شيرين ، ولادبورة ، وفى حى قصابان ٧٢ بيتًا ، وفى حى جاتان ٣٠ بيتًا ، وفى حى مردكان ٢٥ بيتًا ، وفى حى نجارا عشرة بيوت ، وفى حى قاضى باره خمسة بيوت ، بالإضافة إلى ١٩ بيتًا فى أماكن أخرى متفرقة ، ولا شك أن الخسائر أكثر بكثير من أية إحصاءات تمت حتى الآن .

ثالثًا : وقد بلغت قسوة هؤلاء المعتدين أن كانوا يقتلون أولاد المسلمين أمام آبائهم وذويهم عند اقتحامهم لمنازل المسلمين ، ويهتكون أعراض نساء المسلمين ثم يقتلونهن أو يحرقون المنازل بمن فيها من سكان ، وذلك نفس أسلوب عصابات اليهود بفلسطين المحتلة .

رابعًا : ألحقوا أضرارًا فادحة بعدد من المساجد ، وقتلوا مؤذنيها وأسرهم مثل مسجد تكية شاه ومسجد كجهرى ، ومسجد ربانى ، ومسجد سرائى شاه محمد ، ومسجد بازاروالى ، ومسجد صديقيان ومسجد قرية بكلى ،

وفى بعض تلك المساجد شنت الميليشيات الهندوسية هجومها وعدوانها على المصلين والمعتكفين فضربوهم وسلبوا منهم أموالهم ، ثم أشعلوا النيران فيهم فماتوا حرقًا .

خامسًا : لم تسلم الكتب الدينية من عدوان الهندوس على المساجد فقد تناولوا المصاحف والكتب الدينية وأهانوها ومزقوها كما أحرقوا دراجات المسلمين وسياراتهم[1] .

وبعد

فيحق لنا أن نتساءل أين وسائل الإعلام العربية والإسلامية عن هذه الفاجعة التى أصابت هؤلاء المسلمين فى بلاد الهند ؟ ولماذا لم تتحرك التحرك الواجب فى مثل هذه المحن والمآسى التى تحيط بالمسلمين إذا علمنا أن التعتيم الإعلامى على المجازر التى يذبح فيها المسلمون وتدمر فيها ممتلكاتهم خطة دولية مقررة من جانب الصليبية العالمية ؟ .

إننا نسائل شعوب الدول العربية والدول الإسلامية ، ما معنى تجاهلهم لآلام إخوانهم المسلمين فى الهند وتبلدهم بإزائها ، رغم أنهم يذبحون ويبادون فى الوقت الذى تتبارى فيه أجهزة أعلام تلك الدول بإذاعة مباريات كرة القدم تحتشد فيها الألوف لرؤيتها ؟ .

لو أن صعلوكًا من دول الغرب الصليبى أو من اليهود خدش ظفره لتحركت له الهيئات الدولية ، أما شعوب المسلمين فإن الألوف المؤلفة منهم يقتلون فما يكترث لمصابهم أحد ، وها هم فى بلاد الهند كما قالت صحيفة

---

(١) مجلة منار الإسلام بدولة الإمارات العربية المتحدة عدد شعبان سنة ١٤١١هـ – فبراير سنة ١٩٩١م .

Sunday الأسبوعية يعيش المسلمون هناك حاليا فى حالة من الخوف والذعر ، فقد أعلن الكاهن الهندوسى المتآمر (**رام جند رداس**) الحرب على العناصر التى تعارض الهندوس والديانة الهندوسية ، كما أعلن المدعو (**أشوك سنغل**) الأمين العام لمنظمة الهندوسية العالمية تهديده السافر للمسلمين فيقول : إنه لا يمكن للقوات الحكومية والأحزاب السياسية أن تحمى المسلمين من غضب الهندوس[1] .

فهلا تحركت الحكومات العربية والحكومات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامى وغيرها من المنظمات الإسلامية ، ووقفت وقفة شجاعة واستخدمت سلاح المصالح الاقتصادية كالامتناع عن شراء الشاى الهندى ، وما ماثله من سلع للضغط على حكومة الهند ، فتثوب إلى رشدها فتقبض على مثيرى الفتنة من زعماء ورؤساء العصابات الهندوسية المتطرفة ، وكذا على من يساندهم من رجال الإدارة ورجال الشرطة هناك وتحاكمهم على ما اقترفت أياديهم الآثمة فتوقف سفك دماء المسلمين ، وتمنع تدمير ممتلكاتهم وإحراق دورهم ونهب ثرواتهم وأموالهم وهتك أعراضهم .

وبذلك تبعث الأمن والأمان فى نفوس المسلمين هناك فهم بلا جدال جزء من بناء الهند وبعض من نسيج أهلها وشعبها .

ترى ما المانع ؟

---

(١) المرجع السابق .

كشمير الإسلامية
ومشكلتها
بين الهند وباكستان

تعتبر شبه القارة الهندية التى تضم دولتى الهند وباكستان من الأمم ذات الحضارة القديمة ، بحيث تزامل فى حضارتها حضارات مصر الفرعونية ، وبابل، وآشور، واليونان وسكانها يختلفون فى ألوان بشرتهم ما بين اللون الأسود الغالب فى الجنوب، وبين اللون القمحى فى الوسط حتى إذا وصلنا إلى نهاية الشمال فى كشمير ، وجدنا السكان يمتازون ببياض البشرة .

ولما دخل الإسلام إلى تلك البلاد ، كان المسلمون أرقى أمة فى الشرق، بل فى العالم المتمدين إذ كانوا يحملون دينًا جديدًا سائغًا معقولاً، وعلومًا اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ورقّت حواشيها ويحملون معهم محصول عقول كبيرة ونتاج حضارات متنوعة متعددة وكان علماء الإسلام يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة النبوية، والتوبة عن المعاصى ويحذرون من الفحشاء والمنكر والبغى والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم فى التحلى بالأخلاق الحسنة وتزكية النفس وإصلاحها وحب الله والناس .

ونتج عن هذه التعاليم السامية أن كسدت سوق المنكرات من الخمر والميسر والفسق والفجور والفحشاء بجميع أنواعها ، وأصبحت الكبائر

تشبه الكفر فى أعين الناس واستحيوا من التعامل بالربا وندرت فى السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش[1] .

الاستعمار الأوروبى يتطلع إلى ثراء الهند :

منذ قديم الزمان وأوروبا تتطلع إلى ثراء الهند لاعتقادها الراسخ أن شبه القارة الهندية حافلة بالغنى وبالمواد الخام التى يمكن أن تكون أساسًا لثراء الشعوب الأوروبية ، وعندما اكتشف فاسكودى جاما طريق الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، الذى ربط أوروبا بالهند دون حاجة للبحر المتوسط والبحر الأحمر سنة ١٤٩٩ م كان ذلك مؤشرًا لزحف أوروبا تجاه الهند ، **وقد بدأ ذلك الزحف بالبرتغال التى كانت بحريتها** أسبق لهذه المناطق ، خصوصًا بعد أن سيطرت على شرق أفريقيا وعلى عمان ليكون الطريق إلى الهند تحت سلطاتها كما أنشئوا قواعد لهم فى **هرمز وسقطرة وجوا** ، ثم امتد الطريق بعد ذلك إلى **ملقا**[2] .

وقد انضم للبرتغاليين بعض جماعات الهندوس بسبب كراهيتهم للمسلمين ، وليتخذوا منهم وسيلة وبطانة لإضعاف السلطة الإسلامية بالبلاد ، إذ كانت دولة المغول هى آخر الدول الإسلامية التى حكمت الهند بوصفها أمة واحدة ، وظلت البرتغال سيدة الموقف فى المنطقة حوالى قرن من الزمان ، ولم يضعف كيانها إلا وقوع البرتغال تحت سلطة

(١) مقتبس من كلام العلامة أبو الحسن على الندوى والقاضى ضياء الدين اليرنى الوارد فى موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم٨ صفحة ٣١٠ ، ٣١٦ تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى .

(٢) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند تأليف الدكتور عبد المنعم النمر صفحة ٤٢٣ – ٤٢٦ الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ – سنة ١٩٨١ م بيروت لبنان .

الأسبان سنة ١٥٨٠ م ، مما أتاح لدول أوروبية أخرى أن تزحف للمنطقة وتكوّن بها مستعمرات متنافسة ، وهذه الدول هى هولندا وفرنسا وانجلترا ولكن النشاط الواسع فى الهند ترك لإنجلترا التى توغلت فى المناطق الهندية المختلفة مبتدئة استعمارها بإنشاء **شركة الهند الشرقية** ، وأن تباشر نشاطها التجارى فى حماية الإنجليز منذ سنة ١٦٠٠ م بعد أن حصلت على إذن من ملكة إنجلترا اليزابيث الأولى بمباشرة التجارة مع شبه القارة الهندية ، فأقاموا مستعمرات لهم فى سورات وبمباى ثم بعد مدة فى مدراس وكلكته[1] .

انفراد إنجلترا باستعمار الهند :

وفى سنة ١٦١٦ م قدم توماس رو إلى بلاط إمبراطور الهند المسلم جهانكير ممثلاً لبريطانيا ، وحصل على امتيازات كثيرة للشركة الإنجليزية ، ولم يكن لدى حكام الهند المغول المانع من إعطاء هذه التسهيلات لأنهم فى غفلتهم ، اعتقدوا أن تلك الشركة لم تكن ذات بال فى نظرهم ، وكانوا يعدونها ممثلة لجزر صغيرة فقيرة ، بيدَ أنّ هذه الشركة الإنجليزية استطاعت بمرور الزمن أن تحصل على قطع من الأراضى صغيرة لتبنى عليها مراكزها التجارية ، وبعض المصانع الإنتاجية ، وسرعان ما أصبحت هذه المناطق حصونًا وقلاعًا وامتدت على طول شبه القارة الهندية .

ونظرًا لضعف الإمبراطورية المغولية الحاكمة فى الهند ، اشتد التنافس بين حكام الأقاليم الهندية فهيأ ذلك فرصة لتدخل الشركة الإنجليزية فى الشئون الداخلية للبلاد ، فنقل ذلك الأمر التجار الإنجليز إلى غزاة وكثيرًا ما كانت تلك الشركة تأخذ إذنًا من **الإمبراطور بإدارة بعض المناطق باسمه**

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣١٧ ، ٣١٨ .

وتتعهد بالإبقاء على النظم القائمة ، ثم تبدأ فى تنفيذ حركة واسعة فى المنطقة باسم الملك ، فتعزل وتولى ، ومن يا ترى هؤلاء الذين تعزلهم ؟ لقد كانت تعزل المسلمين وتولى الهندوس ، أو الانجليز بدلاً منهم ثم خطت الشركة المشار إليها خطوة كبيرة حينما أرغمت الإمبراطور المغولى (شاه علم) على التنازل للشركة عن إيرادات البنغال وبيهار ، واستمرت تخطو فى هذا المجال للاستيلاء على مناطق أخرى .

وزاد من سيطرة الحكومة الإنجليزية على البلاد أن جعلت الشركة الإنجليزية خاضعة لها ، وأرسلت من جانبها حاكما يمثل الحكومة الإنجليزية فى شبه القارة الهندية ، ثم أعلنت تبعيتها للتاج البريطانى سنة ١٨٥٨ م وبذلك جثم الاستعمار الإنجليزى على بلاد الهند جميعها[١] .

الإنجليز يضطهدون المسلمين دون ما عداهم من سكان الهند :

الأديان المشهورة فى شبه القارة الهندية والتى يعتنقها السكان : هى الهندوسية ، والسيخية ، والمسيحية ، والإسلام ، وما دام المسلمون هناك ينتمون إلى الإسلام هذا الدين الذى تحركت أوروبا كلها لمصارعته خلال الحروب الصليبية ، وكان لإنجلترا وملوكها دورهم الكبير فى هذا الصراع ، فإن الروح الصليبية كانت متأججة فى نفوس ذراريهم وكانوا لذلك ينتهزون الفرص كلما حانت ليشفوا ما بهم من غيظ وحنق ، وكان دخول الإنجليز الهند فرصة للإيقاع بمسلمى الهند فذلك امتداد لما يتطلعون إليه من محاولات للصراع ضد الإسلام[٢] .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣١٩ ، ٣٢١ .

(٢) كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق صفحة ٤٥ وموسوعة التاريخ الإسلامى صفحة ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

ثم إن الحكم كان للمسلمين فى الهند طيلة ثمانية قرون تقريبًا ، ويستلزم استقرار الأحوال للإنجليز بالهند أن يقضوا على بقايا الحكام المسلمين السابقين، وأن يستعينوا بالهندوس الذين كان الحكم قد أفلت من أيديهم بغلبة المسلمين عليهم، فأخذوا يذكون نار الخلافات بينهم تلك الخلافات التى طحنت الهند طحنًا وحتى يستطيع الإنجليز السيطرة الدائمة على البلاد هناك قسموها إلى مئات الولايات ووضعوا واليا لكل ولاية وأثاروا الخلافات والصراعات بين كل ولاية وأخرى تبعًا للخطة الاستعمارية التى أتقنوها فى حقل الاستعمار، وهى (فرق تسد) فكان من أعمالهم أن يعينوا للولاية التى يكثر بها المسلمون واليا هندوسيا وللولاية التى يغلب فيها الهندوس واليا مسلما .

ثم إن الإنجليز ألغوا القوانين التى سبق أن وضعها الحكام المسلمون ، ووضعوا قوانين جديدة لحكم البلاد وعينوا قضاة للحكم بهذه القوانين من الإنجليز أو من الهندوس ، واستولوا على أموال الأوقاف الإسلامية التى كان ينفق منها على التعليم ، ومراكز العبادة ونتيجة لذلك أغلقت المدارس الإسلامية واستبد الإنجليز بإقامة مدارس أخرى ولكنها عنيت عناية كاملة بإبعاد الطلاب عن الإسلام وأحيانًا تجذبهم إلى المسيحية ، كما استبعد المسلمون كذلك من قوات الأمن ، ومن إدارة الجيش وجهاز الإدارة ومن المناصب الكبرى ، وطبيعى أن تفتح الأبواب للهندوس فى تلك الإدارات المختلفة[1] .

كاتب إنجليزى يصف اضطهاد دولته للمسلمين فى الهند :

لقد صور السير وليم هانتر ، وهو كاتب إنجليزى سياسة الاضطهاد التى قام بها الإنجليز ضد المسلمين بقوله : (إنه لن يجدينا نفعًا أن نصم

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلدرقم٨ص٣٢٣المرجع السابق .

آذاننا عن هذه الحقيقة الماثلة من أن المسلمين الهنود ، قد ارتكبنا ضدهم أمورًا خطيرة لم ترتكبها حكومة من الحكومات ، إنهم يستطيعون مقاضاتنا عن هذه الأمور :

١ – يقاضوننا عن إغلاق كل حياة كريمة فى وجوههم .

٢ – ويقاضوننا عن نظام التعليم الذى دفعهم إلى الجهل .

٣ – وعن نظام الاقتصاد الذى حكم عليهم بالفقر .

٤ – لقد عاش ملايين المسلمين فى الهند بعد سقوط دولة المغول فى تعاسة وشقاء بعد أن فقدوا كبرياءهم وأملاكهم وقوتهم[1] .

تقسيم شبه القارة الهندية وقيام دولة الباكستان :

أثمرت سياسة الحكم الإنجليزى لشبه القارة الهندية ثمرتها باضطهاد المسلمين ، فقام المسلمون هناك بإنشاء حزب الرابطة الإسلامية للعمل على حفظ حقوق المسلمين ، وطالبوا بثلث عدد المقاعد لممثليهم فى المجلس النيابى بالهند ، كما طالبوا بضمانات أخرى سنة ١٩٢٤ تحفظ للمسلمين حقوقهم وكان هذا الاتجاه نتيجة للفظائع والمجازر التى هبت بين المسلمين والهندوس ، والتى كان ضحايا المسلمين فيها كثيرين كثرة بالغة .

ولما ألفت الحكومة البريطانية لجنة سيتمون سنة ١٩٢٧ لدراسة مشكلات الهند ، أصر نهرو ممثل حزب المؤتمر وهو هندوسى على وحدة تامة تقوم

---

(١) من كلام للمذكور Sir William Hunter: London Mastimans المذكور فى موسوعة التاريخ الإسلامى صفحة ٣٢٣ المرجع السابق وفى كتاب تاريخ الإسلام فى الهند المرجع السابق .

بالهند وأن تكون السلطة للأغلبية الهندوسية ورفض إعطاء أية ضمانات للمسلمين هناك .

وفى سنة ١٩٣٢ قام مسلمو كشمير بنضال باسل ضد المظالم التى كان يلحقها بهم حاكم الولاية غير المسلم ، ولما أجريت الانتخابات بالهند سنة ١٩٣٧ بعد أن أصدر البرلمان البريطانى قانون حكومة الهند ، نال حزب المؤتمر الهندوسى أغلبية كبيرة ، وألف حكومات فى كافة الولايات لم تشترك فيها الرابطة الإسلامية فباشرت تلك الحكومات وسائل مختلفة لتضييق الخناق اقتصاديًا على المسلمين ، والعمل على محو تراثهم الثقافى وقد دفع هذا الاتجاه المسلمين إلى التمسك بتقسيم الهند وقيام دولة الباكستان ، ولما عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية بلاهور سنة ١٩٤٠ ، اتخذت القرار الذى عرف بقرار باكستان ، وتضمن وجوب تقسيم شبه القارة وتأسيس دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة ، وفى سنة ١٩٤٥ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واتجاه إنجلترا إلى الحد من نشاطها الاستعمارى كان لابد لها من الجلاء عن أرض الهند خصوصًا بعد استطلاعها للاتجاهات السياسية هناك ، فتأكد لها ضرورة تقسيمها ، لذلك أعلنت قرارها بالجلاء عن شبه القارة نهائيًا قبل يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وتقسيمها إلى دولتين هما الهند وباكستان .

ولما وضعت قواعد التقسيم كان من أهم شروطه أن الولايات لها الحق فى الانضمام إلى الهند أو باكستان حسب رغبة شعبها ، وأغلبيه الهندوس أو المسلمين بها وموقعها الجغرافى ، كما لها كذلك أن تبقى مستقلة ، لكن عند التطبيق برزت أطماع الهند بشكل سافر فلم تطبق قواعد التقسيم بالأمانة الواجبة :

ففى **ولاية حيدر آباد** التى تقع فى هضبة الدكن فى وسط النصف الجنوبى من شبه القارة الهندية والتى يبلغ سكانها زمن التقسيم ١٧ مليونًا ، منهم مليونان من المسلمين ، كان حاكمها المسلم الأمير عثمان على خالد المعروف باسم نظام حيدر آباد ، وكان من أغنى أغنياء العالم وقد اختار هذا الوالى أن تبقى بلاده مستقلة ، لكن حكومة الهند انتهزت فرصة وفاة محمد على جناح زعيم الباكستان القوى فجأة ، وانشغال الناس هناك بإجراءات تشييع جنازته ودفنه والحداد عليه ، فاقتحمت بجيوشها ولاية حيدر آباد وسحقت قوات تلك الولاية ، وضمتها إليها بالقوة العسكرية كما نهبت ثروة زعيم الولاية المسلم وحاكمها ، ونقلتها إليها فى خمس قطارات أثقلها ما حملته فيها من الذهب والفضة التى وجدت بقصوره ، وفى أقبية خاصة ومعها صناديق حافلة باللؤلؤ والجواهر[١] .

وفى ولاية كشمير تكرر أسلوب حكومة الهند وقتئذ مرة أخرى رغم أن هذه المقاطعة ملتصقة بأرض باكستان وتقع على قمة جبال الهملايا ، وتنحدر منها المياه التى تغذى أنهار البنجاب والسند ، وسكانها يبلغون حاليا ١١ مليون نسمة يمثل المسلمون منهم أغلبية تبلغ أكثر من ٧٥٪ ، ولقد فرح هناك المسلمون فى كشمير بقصة التقسيم واتجهوا بكل قواهم للانضمام إلى دولة باكستان[٢] .

ففى انضمامهم إليها يتحقق تخلصهم من عسف الوالى الهندوسى الذى استبد بهم وكان ينزل بهم هو وأسلافه ألوانًا من الاضطهاد طيلة قرن

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المجلد رقم ٨ المرجع السابق صفحة ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٢) جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٤١١ هـ – الموافق ١٤ أبريل سنة ١٩٩١ عن مقال بعنوان (المسلمون فى كشمير) .

كامل ، تعرضوا خلاله لتهديداته ، وفرضت عليهم القيود القاسية بسبب عقيدتهم الإسلامية مما دفعهم مرات كثيرة إلى الانتفاضة ضد الحاكم الهندوسى، كان آخرها فى سنة١٩٣٠ بسبب المظالم التى كان يلحقها بهم .

ولما كان الوالى الهندوسى لا يريد الانضمام بولايته للباكستان لذلك أخذ يستقطب جماعات من الهندوس والسيخ من ولاية **البنجاب الهندية المجاورة** ، ويسكنهم فى كشمير ليتقوى بهم ضد المسلمين ، وإزاء ذلك التصرف بدأ المسلمون يتذمرون على الوالى الهندوسى ، وحدث صراع دام بين ذلك الوالى ومساعديه وبين المسلمين ، فى أعقابه فر الوالى من كشمير ثم أعلن أنه يريد الانضمام إلى الهند عندئذ اندفعت هذه بقواتها تجاه كشمير مما اضطرت معه باكستان أن تزحف هى الأخرى لمساعدة المسلمين وحمايتهم ، وتحقيق آمالهم وهم أغلبية فى الانضمام إليها[1] .

لكن كانت الهند قد احتلت الجزء الأكبر من كشمير ويقدرونه بثلثى مساحتها واحتلت باكستان الجزء الباقى ويقدرونه بثلث مساحة تلك الولاية ، ثم نشب قتال بين الهند وباكستان ، نجحت هيئة الأمم فى وقفه ، ولما أعلنت الهند سنة ١٩٥٦ أن ما استولت عليه من أراضى كشمير يعتبر أرضًا هندية رفضت باكستان ذلك الإعلان وتجدد الصراع العسكرى بينهما فتدخلت بشأنه الأمم المتحدة لكنها لم تحسم الأمر بشأنه ، بل فضلت إبقاء الحال كما هو عليه واستمر ذلك الوضع غير المقبول حتى يومنا هذا[2] .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المرجع السابق صفحة٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٢) كتاب محنة الأقليات المسلمة فى العالم للأستاذ محمد عبد الله السمان صدر من الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف طبعة سنة١٩٨٧ ص١٦١، ١٦٢ .

صورة مما يعانيه المسلمون فى كشمير :

إن المسلمين سكان وشعب كشمير ، يعانون الكثير من الجهاز الحاكم الهندوسى ومن جيوش الهند التى تحتل أرضهم وبلادهم ، وقليل من أخبار هذه المعاناة هو الذى يخرج من هناك وذلك للتعتيم الإعلامى المفروض على تلك البلاد ، فالرأى العام فى بلاد الإسلام لا يكاد يعلم شيئًا عن نشاط أولئك الهندوس ضد الإسلام والمسلمين بسبب قصور الإعلام الإسلامى إلى الحد الذى يمكن اعتباره غير ظاهر أو موجود بالمرة .

ولقد جاء فى نبأ لوكالة رويتر أن المواطنين المسلمين فى منطقة وادى كشمير قد أعلنوا الإضراب العام فى أعقاب قيام جنود هنود سكارى باغتصاب ٥٣ امرأة مسلمة بالمنطقة المشار إليها .

كما جاء فى تقرير لعدد من الزعماء قدم للجنة حقوق الإنسان أن نحو ٥٠٠ جندى هندى قاموا باقتحام قريتين إسلاميتين بتلك المنطقة ، واغتصبوا النساء هناك بصورة جماعية منكرة[1] .

هل تقف مطامع الهندوس الاستعمارية عند كشمير فقط ؟ :

إن مطامع وأحلام الهندوس الاستعمارية العدوانية لا تقف عند حد ابتلاع ولاية كشمير الإسلامية ، بل إنها تمتد إلى الدول والشعوب المجاورة للهند عامة ، وللدول العربية والإسلامية من المحيط الهندى إلى قناة السويس خاصة ، فهذا أستاذ للفلسفة فى جامعة أندهرا يدعى (ناندا مورتى) يقول : منذ أكثر من عقدين من الزمن (إن الحرب والقسوة فيها والخديعة والاستيلاء على بلاد الناس جزء من الديانة الهندوكية) .

(١) مجلة منار الإسلام عدد شوال سنة ١٤١١ هـ – أبريل سنة ١٩٩١ م .

وفى مقال نشر فى صحيفة تايمز أوف إنديا Times of India – بتاريخ ١٩٦٥/١/٢٤ بقلم الأستاذ كريشنا سيتانيا يقول (إن الادعاء الذى يتردد كثيرًا والقائل بأن الهند هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تمارس سياسة خارجية عدوانية، لايمكن إنكاره لأن هذه السياسة داخلة فى صميم تقاليدهم).

وفى كتاب المؤثرات الجغرافية لمؤلفه الهندوسى المتعصب الدكتور باتيل يقول بالحرف الواحد : (إن مصالح الهند تقوم فى المناطق القريبة منها : فنيبال ، وباكستان ، وبنجلاديش ، وأفغانستان ، وبورما والملايو – (ماليزيا) – وأندونيسيا ، وسيريلانكا ، بلاد لازمة لسلامة الهند ، كما وأنه من الضرورى جدًا أن تسيطر الهند على سنغافورة ، وقناة السويس ، لأنهما بمثابة الباب الرئيسى للهند) ثم يضيف ذلك الهندوسى قوله : (إن حاجة الهند إلى البترول تلح عليها بالالتفاف نحو الجزيرة العربية والعراق .

وما دام للهند قوة بحرية عظيمة فمن الواجب – على حد قوله – أن يتحول المحيط الهندى من سنغافورة إلى السويس ليصبح خليجًا تملكه الهند)[1] .

وبعد ... .

فإن محنة المسلمين فى كشمير فى زماننا المعاصر حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها أو إنكارها ولا جدال فى أن الاستعمار الإنجليزى الذى جثم على أرض الهند ، يحمل كل أوزارها بوضعه على أرض كشمير حاكما هندوسيًا رغم أن غالبية سكانها من المسلمين ، وكان قد أشاع العداوة بين الهندوس

(١) مجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ – ديسمبر سنة ١٩٩٠ م مقال الوجود الإسلامى فى الهند والتطرف الهندوسى .

والمسلمين ، ونشر فى ربوع الهند جميعها فكرة أن الدول الإسلامية التى سبقته فى حكم الهند ليست دولاً هندية ، بل هى دول غازية أو مستعمرة مع أن غالبية المسلمين من سكان ولايات الهند هم هنود أصلاً اختاروا الإسلام دينًا ومنهاجًا[1] .

فإذا أضفنا إلى ما سبق أن الهندوس كانوا ومازالوا فى عقلية متأخرة ويعيشون فى عالم أقل ما يقال فيه : إنه يرجع آلاف السنين إلى الأزمان الغابرة ، وأية عقلية أشد تأخرًا من عقلية مازالت تعبد البقر ، وتقدس القردة وكثيرًا من الحيوانات ، وتفضلها على الإنسان نفسه ذلك الإنسان الذى كرمه الله بالخلافة فى الأرض ، بل إن تلك العقلية الهندوسية تعتبر كل من لا يعتقد اعتقادها جاحدًا يستحق القتل والإبادة .

وعن تلك العقلية الهندوسية المتأخرة تقول الكاتبة الأمريكية مؤلفة كتاب : The Land of the Lingam إنه لا يمكن أن ترتقى الهند إلى مصاف الأمم المتحضرة حتى تكنس منها الهندوكية وخرافاتها وطقوسها الحيوانية[2] .

---

(١) كتاب محنة الأقليات الإسلامية فى العالم للأستاذ محمد عبد الله السمان صفحة ١٥٨ – المرجع السابق .

(٢) مجلة منار الإسلام عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ – ديسمبر سنة ١٩٩٠ م .

الشيخ رحمة الله الهندى والمبشرون

من العلماء المسلمين الأفذاذ ، ولد ونشأ فى بلاد الهند – وكان له شرف الدفاع عن الإسلام والتصدى لأعدائه هناك – حيث أرادوا القضاء عليه – فرد كيدهم فى نحورهم فباءوا بالخيبة والخسران المبين .

يصفه الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر بقوله : « لقد كنا فى مصر ولا يسمع بالشيخ رحمة الله إلا بعض الخواص ، ولكن بمرور الزمن وجدناه يتصدر الأستاذية حيث اتجه الكثيرون للتلمذة عليه بعد وفاته ليعوضوا ما فاتهم فى حياته ، فصار كالمعدن النفيس الذى لا تفقد نفاسته مهما طال الزمن ، وينقب عنه الباحثون علهم يظفرون منه بشىء »[1] .

ويقول عنه الدكتور/ أحمد حجازى السقا المحقق لكتاب إظهار الحق ، للشيخ رحمة الله فى طبعته الأخيرة « لقد رد الشيخ رحمة الله ومساعدوه على الحركة التبشيرية بمثل ما يفعل المبشرون ، ردوا على الكتب بالكتب – وأسسوا جماعة التبليغ للدين الإسلامى – وبمناظرته للقسيس « بفندر » رئيس البعثة التبشيرية ببلاد الهند وغلبته له ، رفع المسلمون رءوسهم إلى السماء بانتصار الإسلام على النصرانية ، ولما خزى النصارى فكروا فى

(١) كتاب المدرسة الصولتية تأليف د . أحمد حجازى السقا .

الإعداد العسكرى المسلح للاستيلاء على الهند استيلاء كليا وتم لهم ذلك سنة ١٨٥٧ ميلادية »[١] .

ذلك هو الشيخ رحمة الله بن خليل الله المعروف بخليل الرحمن ولد بحى (دربار كلان) فى قرية (كيرانه) التابعة لمحافظة (مظفرجار) فى بلاد الهند فى غرة جمادى الأولى سنة ١٢٢٣هـ الموافق ٩ من مارس ١٨١٨م – أما نسبه فينتهى إلى عبد الله الكبير بن عمر بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وما يزال نسب هذه الذرية المباركة لعثمان بن عفان ، الذين استوطنوا بلاد الهند محفوظًا فى (الطوبار) أى السجل التاريخى القديم جيلاً بعد جيل حتى اليوم فى مبنى جلال الدين فى مدينة (بانى بت) .

وكانت عائلته واسعة الثراء عظيمة الجاه كبيرة النفوذ حتى ليقال : إن الشيخ ولد فى قصر من قصورها المشيدة – وفى صغره قرأ القرآن الكريم – ودرس كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية واللغة الفارسية على يد آبائه – ولاستكمال تعليمه العالى ارتحل إلى مدينة (دلهى) حيث التحق بمدرسة الأستاذ/ محمد حيات ثم اتجه إلى (لكنوك) مدينة العلم والأدب والحضارة ، وتتلمذ هناك على المفتى سعد الله كما تتلمذ على آخرين من علماء الإسلام .

ثم عاد الشيخ رحمة الله إلى وطنه فى قرية كيرانه حيث اشتغل هناك بالتدريس[٢] .

---

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله الهندى طبعة ١٩٧٨ نشر دار التراث العربى بالقاهرة .

(٢) المرجع السابق .

هجمة النصرانية على بلاد الهند وموقف الشيخ رحمة الله منها :

وفى ذلك الزمان من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى كان المبشرون (النصارى) من طائفة البروتستانت جادين فى نشر دينهم فى بلاد الهند ويستهدفون الإسلام بكل طاقاتهم ، فأخذوا فى الانتشار فى جميع البلاد يبشرون بصليبيتهم فى مجامع الناس وينشرون رسائلهم وكتبهم بين مختلف الطبقات – وكان منهم القسيس (بفندر) رئيس البعثة التبشيرية فى عموم الهند ، وقد ألف كتابًا سماه (ميزان الحق) يدعو فيه السكان علنًا إلى النصرانية ، فدبّ الملل فى نفوس الناس – وكادوا أن يخرجوا من ملتهم – وفجأة تنبه علماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ رحمة الله بن خليل الله للخطر الداهم على الإسلام والمسلمين هناك ، فوضعوا خطتهم التى ترتكز على محورين .

المحور الأول :

مطالعة كتب الدين النصرانى وما شرحه علماؤهم فى عقيدتهم كى يعرفوها حق المعرفة عند مناظرتهم لخصومهم أو عند الكتابة عنها .

المحور الثانى :

مقاومة الغزو التبشيرى النصرانى بأسلوب الفكر المستنير وإظهار الحجة القوية دفاعًا عن الإسلام ودحضًا للنصرانية وذلك على رءوس الأشهاد .

وفى هذا يقول الشيخ رحمة الله : « دعوت العالم النصرانى بفندر » أكبر القسيسين ، ورئيس البعثة التبشيرية فى الهند للمباحثة والمناظرة علنا ، وعلى مرأى ومسمع من الناس لنحق الحق ونزهق الباطل ، وقد انعقدت الجلسة الأولى للمناظرة فى التاريخ المحدد لها بحى (أكبر أباد) فى مدينة (أجرا) ، وكان مرافقًا للشيخ رحمة الله الدكتور محمد وزير خان كما كان

مرافقًا للقسيس بفندر القسيس (فرينتش) ، أما شهود تلك المناظرة . فكانوا كثيرين منهم رئيس الديوان ، ومستشار النظارة المالية والمفتى الحافظ – وباشكاتب النظارة المالية – ونائب أمير مدينة بنارس – وإمام الجامع الكبير فى أجرا الشيخ قمر الإسلام كما حضرها رئيس تحرير جريدة مطلع الأخبار خادم على خان وبعض أمراء الإنجليز ومستر وليم حاكم المعسكر ، ومستر ليدلى المترجم الأول للدولة[1] .

موضوعات المناظرة التاريخية :

كانت موضوعات المناظرة التى اتفق عليها خمسة هى :

١ – النسخ .
٢ – التحريف .
٣ – التثليث .
٤ – حقية القرآن
٥ – رسالة محمد ﷺ .

ماذا دار فى جلسة المناظرة الأولى بتاريخ ١٠ من أبريل سنة ١٨٥٤ ؟

فى بداية هذه الجلسة قام الشيخ رحمة الله وعرض وجهة نظره فى النسخ ، وتحريف الإنجيل وأثبت بأدلة استخرجها من كتب أهل الكتاب أنفسهم أن النسخ ممكن عقلاً ، وواقع فعلاً وأن الإنجيل المتداول ليس هو الذى نزل من السماء على المسيح عليه السلام ، وخلال المناقشة اعترف القسيس بفندر بقوله : (لا يوجد التحريف إلا فى سبعة مواضع أو ثمانية فى الإنجيل) ، فعندئذ وقف الشيخ قمر الإسلام إمام المسجد الجامع ، وقال للمحرر الصحفى خادم على خان اكتب فى صحيفة مطلع الأخبار أن القسيس بفندر اعترف بالتحريف فى الإنجيل فى سبعة مواضع أو ثمانية .

(١) كتاب أكبرمجاهد فى التاريخ ترجمة الدكتور أحمد حجازى السقا

فصاح القسيس بفندر « نعم أنا أعترف إلى هذا الحد ، ولكن مثل هذا القدر القليل لا يضر الكتب السماوية » إلا أن الشيخ رحمة الله ردّ عليه بقوله إذا ثبت التحريف فى وثيقة من الوثائق فإنه لا يعمل بها وتكون لاغية – وحيث قد أقررتم بثبوت التحريف فى سبعة أو ثمانية مواضع فكيف يكون الإنجيل (الذى أصيب بالتحريف) صحيحًا وتؤمنون به وتدعون إليه .

وإلى هنا انتهت الجلسة الأولى من المناظرة واتفق الطرفان على الحضور فى جلسة أخرى تعقد فى اليوم التالى[1] .

جلسة المناظرة الثانية بتاريخ ١١ من أبريل سنة ١٨٥٤ :

ولقد حضر فى جلسة هذه المناظرة كثير من رجال الدين والسلك السياسى وكبار الناس كما حضرها القسيس وليم كلين – والقسيس هارلى وآخرون كثيرون غيرهم من رؤساء البلاد وكبار رجال الحكومة وعلماء الدين وعامة الشعب ذلك لأن الناس سمعوا بما دار فى الجلسة السابقة ، وأن المسلمين قد غلبوا القساوسة النصارى .

وعندما انعقدت هذه الجلسة جرت المناظرة حول تحريف الإنجيل – لكن لوحظ أن القسيسين كانوا يتحدثون بمنطق ملتو – ويحتدون فى المناقشة بغضب شديد ، وينطقون بكلمات تستفز الشيخ رحمة الله وتغضبه ، لشعورهم بانعدام حجتهم وضعف موقفهم ، وعلى العموم فقد انتهت تلك الجلسة بهزيمة القسيس بفندر والذين معه – وعندئذ امتنع ذلك القسيس عن الحضور فى باقى الجلسات واكتفى بمراسلة الشيخ رحمة الله فى أول مايو سنة ١٨٥٤م وحتى ١٦ أغسطس من تلك السنة وما ردّ بجواب مقنع

---

(١) المرجع السابق

مما دعا الدكتور وزير خان إلى توجيه رسالة إليه يقول فيها (كان يجب عليكم) :

أولاً : الإجابة عن أسئلة الشيخ رحمة الله ثم بعد ذلك .

ثانيا : تلقون الإنجيل وراء ظهوركم لإقراركم بتحريفه ، ولا تمتنعون عن حضور جلسات المناظرة حتى يتم بحث الموضوعات المتفق عليها[1] .

أسباب امتناع القسيس عن حضور المناظرة بعد انصرام جلستيها الأولى والثانية :

حدث فى بداية انعقاد المناظرة الأولى أن أخذ الشيخ رحمة الله على نفسه عهدًا أمام الحاضرين أنه إذا لم يستطع الإجابة على أسئلة القسيس بفندر فسيلزم نفسه بقبول عقيدة النصرانية ، كما التزم بهذا الشرط وأخذه على عاتقه القسيس المذكور إذ أعلن بأنه إذا غلب فى المناظرة فسيعتنق دين الإسلام .

فلما أثبت الشيخ رحمة الله فى مدة يومين فقط أن الإنجيل شابه التحريف ، وانتزع الاعتراف الصريح بهذا من القسيس المذكور أمام الحاضرين امتنع القسيس عن الحضور حتى لا تتكرر هزائمه فى باقى مواضيع المناظرة ، فيضطر إلى ترك دينه تنفيذًا للشرط السابق ، الإلماع إليه – لذلك فإنه اكتفى من الغنيمة بالفرار من الميدان ليلعق جروح ذلته وجهله وحتى يسدل الستار على فشله الذريع .

ولما سمعت رئاسة الكنيسة البروتستانتية فى أوروبا بما حدث لقسيسها بفندر من هزيمة ، سحبته من بلاد الهند وأوفدته – إلى ألمانيا وسويسرا

(١) المرجع السابق

وبريطانيا ، ثم إلى القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية وقتئذ – عضوًا في بعثة تبشيرية أخرى لنشر النصرانية هناك .

وفي القسطنطينية أشاع ذلك القسيس كذبًا أن علماء المسلمين في بلاد الهند فشلوا في مناظرته لهم ، مما أدى إلى انتصار النصرانية على دين الإسلام ، فانزعج السلطان العثماني من تلك الإشاعة الكاذبة وحزن حزنًا شديدًا ، وأرسل سريعًا في طلب الحقيقة من واليه بمكة المكرمة ، حيث كان يقيم الشيخ رحمة الله بعد فراره من بلاد الهند ولجوئه إلى الأراضي الحجازية إثر احتلال القوات الإنجليزية للهند ومحاولتهم القبض عليه عند مقاومته لهم[1] .

كيف احتفى السلطان العثماني بالشيخ رحمة الله ؟

لما عرف السلطان العثماني بحقيقة مادار في المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيسين في بلاد الهند وتغلبه عليهم ، أرسل في طلبه ، وبمجرد وصوله إلى مدينة القسطنطينية ترك القسيس بفندر بعثته التبشيرية وفرّ هاربًا من هناك – أما السلطان العثماني فقد خرج لاستقبال الشيخ رحمة الله في موكب رسمي واحتفى به حفاوة بالغة ، فقد دعا في حفل استقباله جميع علماء الدين في قاعدة الخلافة وكبار رجال الدولة واستمع الجميع من فم الشيخ لتفاصيل مادار في مناظرته مع القسيس بفندر وكيف قاوم جيوش الغزو الإنجليزي في بلاد الهند ، ولما انتهى الحفل الرسمي أنعم عليه السلطان بالخلعة السلطانية ، وأكرمه بالوسام المجيدي ، وجعل له راتبًا شهريًا من قبل دولة الخلافة . وكان يسمح له بحضور المجلس الأعلى لشئون الدولة مع شيخ الإسلام ورئيس الوزراء .

---

(١) المرجع السابق

وسدا لباب الفتنة أمر السلطان العثمانى بالقبض على القسيسين الأجانب ومصادرة كتبهم وطردهم من البلاد[1] .

حالة الهند السياسية فى ذلك الوقت :

كانت الهند فى ذلك الزمان تحت سلطان المغول المسلمين لكن فى وقت بدأ فيه سلطانهم يلفظ أنفاسه الأخيرة من الضعف – وكانت شركة الهند الشرقية « الإنجليزية » تعمل على بسط نفوذها على عموم الهند – ولما قام الهنود بثورتهم الكبرى ضد تلك الشركة سنة ١٨٥٧ انتهت الثورة باستئصال الحكم المغولى والقضاء على الحكومة الإسلامية واستيلاء الإنجليز على جميع البلاد – وكان من أول أعمالهم مجابهة الإسلام والمسلمين فقتلوا الآلاف المؤلفة من خيرة علماء المسلمين المجاهدين هناك فثار الشيخ رحمة الله على الإنجليز وقاومهم أشد المقاومة مع من كان معه إلا أن الإنجليز استعملوا الخديعة واشتروا بعض المواطنين الخونة فانهزم المجاهدون المسلمون ، وفرّ الشيخ رحمة الله إلى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٤هـ التى توافق سنة ١٨٥٨م كما قدمنا آنفا .

ولما لم يعثر له الإنجليز على أثر فى بلاد الهند ، أحصوا أملاكه وكانت كثيرة وصادروها جميعًا ، وباعوها فى مزاد علنى بثمن بخس روبيات معدودة بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٨٦٤م انتقامًا منه[2] .

قيام الشيخ رحمة الله بالتدريس فى المسجد الحرام :

ولما استقر به المقام فى مكة المكرمة علم بمقدمه كبير علمائها الشيخ أحمد بن زينى دحلان ، الذى كان يقوم بالتدريس فى المسجد الحرام فقابله

---

(١) المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

ودعاه إلى ضيافته وأكرمه غاية الإكرام خصوصًا لما سمع بما جرى فى المناظرة التى كانت بينه وبين القسيس بفندر أمام رؤساء الهند وسفراء الدول الأجنبية وغلبة الشيخ رحمة الله على القسيس المذكور ، ثم طلب كبير علماء المسجد الحرام من الشيخ القيام بالتدريس فى المسجد الحرام حتى ينتفع الناس به ويعلمه فقام به خير قيام .

مؤلفاته فى نقد دين النصرانية وغيرها :

ألف الشيخ رحمة الله كتبًا كثيرة فى نقد دين النصرانية والرد عليها وياحبذا لو اهتم المسلمون وولاة أمورهم فى زماننا المعاصر لا بطبعها ونشرها فحسب ، بل وتدريسها فى مختلف المعاهد الدينية والعلمية ليتسلح المسلمون بها أمام الحملات التبشيرية الضارية ، التى يوجهها الغرب الصليبى حاليا إلى بلاد الإسلام ونذكر من هذه الكتب :

أولاً – كتاب إظهار الحق :

ويتضمن هذا الكتاب تفاصيل المناظرة التى سبقت الإشارة إليها بين الشيخ رحمة الله والقسيس بفندر ويقع فى ٤٢٠ صفحة – وقد ترجم إلى اللغات الأوربية المختلفة بأمر من الحكومة التركية فى ذلك الوقت .

ثانيا – كتاب إزالة الشكوك :

وهو يجيب على ٣٩ سؤالاً سألها رجال النصارى علماء الإسلام – ويقع فى جزءين ويحتوى على ١١١٦ صفحة ويتناول بالأدلة القاطعة إثبات نبوة محمد خاتم النبيين ﷺ كما أثبت تعمد أهل الكتاب تحريف التوراة والإنجيل .

ثالثًا – كتاب إزالة الأوهام :

وقد ألفه الشيخ رحمة الله باللغة الفارسية للرد على كتاب (ميزان الحق) الذى ألفه القسيس بفندر باللغة الفارسية – وقد فند فيه حجج النصارى التى أوردها القسيس بفندر فى مؤلفه المذكور .

رابعًا – كتاب أحسن الأحاديث فى إبطال التثليث :

تكلم فيه الشيخ رحمة الله عن التثليث فى النصرانية وأبطله بالدلائل العقلية والنقلية .

خامسًا – كتاب البروق اللامعة :

أثبت الشيخ رحمة الله فى هذا الكتاب أن محمدا ﷺ مكتوب عنه فى التوراة والإنجيل ولا نبى بعده بأدلة استخرجها من الكتب المقدسة عند أهل الكتاب .

سادسًا – كتاب التنبيهات فى إثبات الاحتياج إلى البعث والحشر :

وفيه يؤكد الشيخ رحمة الله حقيقة البعث بعد الموت وأن الحياة الآخرة هى غير الحياة الدنيا – وذلك ردا على منكرى البعث وحشر الخلائق يوم القيامة[1] .

مكانة الشيخ رحمة الله العلمية :

كان رضوان الله عليه عالمًا جليلاً وباحثًا عظيمًا ، جمع إلى علمه الدينى بعقيدة الإسلام وشريعته ، إلمامه الكبير بما تنطوى عليه عقائد وكتب أهل الكتاب من تحريف وتغيير وتبديل ، فجادلهم وأفحمهم وانتصر عليهم ، كما ألف الكتب القيمة فى مجابهتهم والرد عليهم ، وقد بلغ من قوة حجته وسطوة براهينه وأدلته أن جريدة لندن تايمس علقت على واحد من مؤلفاته عندما وصلت إلى مدينة لندن الترجمة الإنجليزية لكتابه (إظهار الحق) بقولها (لو اطلع الناس على هذا الكتاب فإنهم لن يقبلوا الدين النصرانى وبذلك يتوقف نشر الديانة النصرانية)[2] .

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله الهندى المرجع السابق

(٢) المرجع السابق

رحم الله الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى لقاء ما جاهد وجادل ودافع عن الإسلام بنفسه وبلسانه وقلمه وكتبه وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، فهو لم يتوان قط طيلة حياته عن إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام فى عصر كانت الفتن فيه تحدق بالمسلمين وتحيط بهم ظالمة ومظلمة ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .